

دروس في

البيان

الشيخ

معين دقيق العاملي



دار إحياء التراث

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

دروس في البلاغة

الشيخ معين دقيق العاملي



دار جواد الأئمة^(ع)

**حقوق الطبع محفوظة للناسر
الطبعة الأولى
1433 هـ - 2012 م**

دار جواد الأنمة (ع) للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - شارع دكاش - بناية شحرور

ت: 73 73 13 / 03 - 12 29 69 70 00961

كلمة الناشر

ان انتعاش المراكز التعليمية رهن نظام تعليمي دقيق ثابت ومجرب، تشكل البرامج التعليمية والمناهج الدراسية والاساتذة عموده الفقري.

ان فاعلية البرامج التعليمية تكمن في تجاوزها مع متطلبات العصر وتوافر الامكانيات ومؤهلات الطلاب ، كما ان تقويم المناهج الدراسية يعتمد - الى حد كبير - على طرحها لآخر المنجزات العلمية بأحدث الأساليب المتبعة في التربية والتعليم .هذه المراكز بحاجة ماسة الى التقييم الدائم واعادة النظر في مناهجها الدراسية بأرقى الاساليب وفق آخر ما وصلت اليه التقنيات العلمية ، بغية الحفاظ على مستوى نشاطها العلمي.

ان حوزات العلوم الدينية التي تقع على عاتقها مهمة اعداد علماء الدين ونشر المبادئ الاسلامية غير مستثناة من هذه القاعدة ، باعتبارها من مؤسسات التعليم الديني.

ومن حسن الحظ فان الحوزات العلمية وببركة الثورة الاسلامية العظيمة بقيادة الامام الخميني الراحل (قدس سره) أخذت منذ سنوات عدة التفكير جديا في اصلاح نظامها التعليمي وتجديد النظر في مناهجها الدراسية.

وانطلاقا من الشعور بالمسؤولية قامت جامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية - التي تمثل جزءا من هذه المجموعة وتضطلع بمهمة تعليم الطلاب غير الايرانيين - قبل غيرها من سائر المؤسسات بانشاء معاونة شؤون التعليم لهذا الغرض.

هذه المعاونة مع تميمها للجهود المضنية التي بذلها العلماء في سبيل التجاوب مع هذه الحاجة واقتطاف ثمار نتاجاتهم العلمية ، بذلت الوسع لتنظيم مناهج دراسية وفق برامج مستوحاة من الاساليب التعليمية المعتمدة على آخر المنجزات العلمية .

والكتاب الذي بين يديك دروس في البلاغة يمثل احد النماذج المختارة من هذه الكتب وهو يعني بالبحث عن علوم البلاغة. ويعد هذا الكتاب خطوة راسخة في هذا الطريق وجهدا يستحق التقدير بذله حجة الاسلام والمسلمين الشيخ معين دقيق العاملي - حفظه الله - ، فشكرا متواصلا له لجميع الذين ساهموا في إنجاز هذا العمل.

وفي الختام لا بد من القول بان اي عمل لا يكاد يخلو في بداياته من زلات وهفوات ولذا فاننا نتطلع الى اصحاب العلم والفضيلة ان لا يظنوا علينا بارائهم الصائبة فهذا التطلع هو مهماز شروعا ومبعث أملنا بمستقبل زاهر.

مركز المصطفى عليه السلام العالمي للترجمة والنشر

الفهرس

٥	كلمة الناشر.....
٩	مقدمة المؤلف.....
٩	أهمية علم البلاغة.....
١٠	دور علماء الشيعة في توسيع هذا العلم.....
١٢	خصائص الكتاب.....
١٣	وأهم هذه الخصائص.....
	تمهيد

١٧	المطلب الأول: في تعريف البلاغة و تقسيمها.....
٢٣	المطلب الثاني: في موضوع علم البلاغة.....
٢٣	المطلب الثالث: في الغرض من تدوين هذا العلم.....
٢٤	المطلب الرابع: في وجه انحصار ما يبحث عنه في البلاغة في الفنون الثلاثة.....
٢٦	اسئلة و تمرينات.....

الفن الأول: علم المعاني

٢٩	تعريف علم المعاني.....
٣١	الباب الأول: أنواع الكلام.....
٣١	النوع الأول: الكلام الخبري.....
٣٢	أغراض الجملة الخبرية.....
٣٣	أضرب الخبر.....
٣٥	تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.....
٣٦	الإلتفات.....
٣٨	الأسلوب الحكيم.....
٣٨	التعبير عن المضارع بلفظ الماضي و عكسه.....
٣٩	النوع الثاني: الكلام إنشائي.....
٣٩	أقسام الإنشاء.....
٤٠	١. الأمر.....
٤٢	٢. النهي.....

٤٢	٣. الاستفهام.....
٤٣	أ) الهزة.....
٤٣	خصائص هزة التصوّر.....
٤٤	خصائص هزة التصديق.....
٤٤	ب) هل الإستفهامية.....
٤٦	خاتمة: في بيان أمرين.....
٤٩	اسئلة و تعريفات.....
٥٢	الباب الثاني: الحذف و الذكر.....
٥٣	١. الحذف.....
٥٣	دواعي الحذف و أسبابه.....
٥٦	٢. الذكر.....
٥٨	اسئلة و تعريفات.....
٥٩	الباب الثالث: التعريف و التنكير.....
٦٠	١. التعريف.....
٦٠	(١) التعريف بالإضمار.....
٦١	(٢) التعريف بالعلم.....
٦١	(٣) التعريف باسم الإشارة.....
٦٢	(٤) التعريف باسم الموصول.....
٦٤	(٥) التعريف باللام.....
٦٦	٢. التنكير.....
٦٧	اسئلة و تعريفات.....
٦٩	الباب الرابع: التقديم و التأخير.....
٧٠	التقديم.....
٧٢	الحالة الأولى: في تقديم المستند إليه.....
٧٤	الحالة الثانية: في تقديم غير المستند إليه.....
٧٦	اسئلة و تعريفات.....
٧٧	الباب الخامس: الإطلاق و التقيد.....
٧٨	التقيد بالوصف.....
٧٩	التقيد بالعطف.....
٨١	التقيد بالشرط.....
٨١	استعمال «إن» موقع «إذا».....
٨٢	استعمال «إذا» موقع «إن».....
٨٣	اسئلة و تعريفات.....

٨٤	الباب السادس: القصر
٨٥	تعريف القصر
٨٥	طرق القصر
٨٦	تقسيمات القصر
٨٨	تنبيهات
٩٠	اسئلة و تمرينات
٩٢	الباب السابع: الفصل والوصل
٩٣	تمهيد
٩٣	تعريف الفصل و الوصل
٩٤	مواضع الفصل
٩٧	مواضع الوصل
٩٨	تنبيهان
١٠١	اسئلة و تمرينات
١٠٢	الباب الثامن: المساواة والإيجاز والإطناب
١٠٣	تمهيد
١٠٣	الفصل الأول: المساواة
١٠٤	الفصل الثاني: الإيجاز
١٠٧	الفصل الثالث: الإطناب
١٠٨	محصلات الإطناب
١١١	خاتمة
١١٢	اسئلة و تمرينات

الفن الثاني: علم البيان

١١٧	١. تعريف علم البيان
١١٨	٢. الغرض من تدوينه
١٢٠	الباب الأول: التشبيه
١٢١	تعريف التشبيه
١٢١	أركان التشبيه
١٢٣	تقسيمات التشبيه
١٢٨	أغراض التشبيه
١٣٠	شروط التشبيه
١٣٢	اسئلة و تمرينات
١٣٦	الباب الثاني: المجاز
١٣٧	أقسام المجاز

١٣٧	الفصل الأول: في المجاز اللفظي (اللغوي).....
١٣٩	أقسام المجاز اللفظي.....
١٣٩	القسم الأول: المجاز المرسل.....
١٣٩	علاقات المحجاز المرسل.....
١٤٢	القسم الثاني: الإستعارة.....
١٤٢	العلاقة بين التشبيه والإستعارة.....
١٤٣	أركان الاستعارة.....
١٤٣	تقسيمات الإستعارة.....
١٤٦	تنبيهات متعلّقة بالتقسيم السابق.....
١٤٩	الفصل الثاني: في المجاز العقلي (المجاز في الإستناد).....
١٥٠	ملازمات المجاز العقلي.....
١٥١	قربنة المجاز العقلي.....
١٥٢	تنبيهان.....
١٥٣	الفصل الثالث: في المجاز في الحذف.....
١٥٥	اسئلة و تمرينات.....
١٥٦	الباب الثالث: الكناية.....
١٥٧	تعريف الكناية.....
١٥٨	أركان الكناية.....
١٥٨	تقسيمات الكناية.....
١٦١	التعريض.....
١٦٢	اسئلة و تمرينات.....

الفنّ الثالث: علم البديع

١٦٥	١. تعريف علم البديع.....
١٦٦	٢. موضوع علم البديع.....
١٦٦	٣. الغرض من تدوينه.....
١٦٦	٤. أبواب علم البديع.....
١٦٧	الباب الأول: المحسنات المعنوية.....
١٦٨	المحسنات المعنوية.....
١٧٣	الباب الثاني: المحسنات المعنوية.....
١٧٤	المحسنات اللفظية.....
١٧٧	اسئلة و تمرينات.....

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علّمه البيان، بعد أن أنزل القرآن، فجعل فيه لكلّ شيء تبياناً، و صيّر في الفصاحة غاية، و في البلاغة نهاية، بحيث عجزت عن مضاهاته ألسنة البلغاء، و أقربت بعلوّ شأنه مناير الخطباء.

تمّ الصلاة و السلام على من أوتي فصل الخطاب، و كان أفضل مخلوق نطق بالضاد، خاتم الأنبياء و المرسلين، و حبيب إله العالمين، سيّدنا و نبيّنا محمّداً، و على آله الأطهار، و الأئمة الأخيار، مخازن العلم، و معادن الحكمة.

أهمية علم البلاغة

علم البلاغة من أشرف علوم الأدب و أهمّها. كيف؟ و القرآن و هو المعجزة الإلهية الخالدة، قد تحدّى ببلاغته كلّ خطيب مصقع، و كلّ أديب مبدع. فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه، واحد من بلغاء العرب و فصحاتهم، على الرغم من أنّهم كانوا أكثر من حصي البطحاء، و أوفر عدداً من رمال الصحراء.

و نحن أبناء هذا العصر كيف يمكن لنا أن نصدّق بذلك تصديقاً عملياً، إن لم نطّلع على مسائل هذا الفنّ، لنرى بعين اليقين خلود هذه المعجزة على مرّ الليالي و الأيام.

و تشتدّ الحاجة لهذا العلم، لمن أراد أن يشتغل بالروايات الواردة عن النبي و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، ليستنبط منها الأحكام الشرعية، و القوانين الإلهية، فإنّ كلامهم على جانب كبير من البلاغة و البيان؛ إذ هو دون كلام الخالق، و فوق كلام المخلوق. و لذا نجد في سير الكثير من فقهاءنا عدم اكتفائهم بدراسة هذا العلم، بل تعدّوه إلى مطالعة الكثير من المتون الأدبية. و ما ذلك إلا ليحصلوا على ملكة في البيان و الأسلوب، يستطيعون بها درك مغازي الأحاديث و مفادها، و عليه، فلا يفضى إلى مقالة بعض أبناء العصر، من الذين تاهوا الطريق، فقادوا حملة ضدّ هذا

العلم، مدعين عدم أهميته، وضرورة الإعراض عن دراسته، حتى اغترّ بمقالتهم جملة من المتدينين. أهنأ الله وإتاهم إلى جادة الصواب.

دور علماء الشيعة في توسيع هذا العلم

يبحث في البلاغة - كما هو معلوم - عن فنون ثلاثة: المعاني والبيان والبديح. وكلُّ فنٍّ منها قد اشتهر فيه جملة من العلماء، وضعوا أركانه، وشيّدوا بنيانه. وقد كان لعلمائنا - رضوان الله عليهم - نصيب السبق في هذه الفنون الثلاثة. فعلم المعاني وإن اشتهر نسبه إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، كما نصَّ على ذلك جلال الدين السيوطي في كتابه الأوتار، إلا أن الإمام المرزباني (ت ٣٧٨ هـ) قد سبقه في التصنيف في هذا العلم، فإن له كتاب «المفضل في علم البيان و الفصاحة»^(١)، الذي قال عنه ابن النديم في فهرسه: إنه نحو ثلاثمائة ورقة.

والإمام المرزباني هذا، من علماء الشيعة ومحدثيهم، كما نصَّ على ذلك الياضي في تاريخه. حيث قال: «أخذ عن ابن دريد، وابن الأثيري العلوم الأدبية، وهو صاحب التصانيف المشهورة، والمجامع الغريبة، ورواية الأدب، وصاحب التأليف الكثيرة. ثقة في الحديث، قائل بمذهب التشيع، وشعره قليل لكنّه من الجيد...»^(٢)

و ذكره ابن خلكان بمثل ما ذكره الياضي بلا تفاوت حتى في التشيع. وهو صاحب كتاب ما نزل من القرآن في علي عليه السلام.^(٣)

أما البديع، فالمشهور بين مؤرخي الأدب، أن واضعه الخليفة العباسي، عبدالله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦ هـ)، وأنه دَوَّته سنة ٢٧٤ هـ في كتابه الموسوم بالبديع.

والحق أن هذه النسبة غير متيقنة؛ وذلك لأن الأصل فيها دعوى ابن المعتز نفسه، حيث قال في كتابه الآنف الذكر:

«و ما جمع قبلي فنون الأدب أحد، و لا سبقني إلى تأليفه مؤلفه وألفته سنة أربع و سبعين و مائتين، فمن أحب أن يقتديها، يقتصر على هذا فليقل، و من أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً من البديع، و ارتأى غير رأينا فله اختياره»^(٤)

١. البيان في ذلك العصر يطلق على المعاني والبيان.

٢. نقلاً عن تأسيس الشيعة ص: ٩٤.

٣. المصدر السابق ص: ١٦٨.

٤. المصدر السابق ص: ١٦٨.

مع أن معاصره قدامة بن جعفر الكاتب الشيعي، صَنَّف في ذلك كتاب نقد الشعر، المعروف بنقد قدامة، و هو أكبر من ابن المعتز سناً، فيحتمل قوياً سبق قدامة على ابن المعتز في التصنيف، وإن كان ابن المعتز قد سبقه بالتسمية.

و يؤيد ذلك، أن ابن المعتز جمع في كتابه سبعة عشر نوعاً من أنواع البديع، بينما قدامة بن جعفر، جمع منها عشرين نوعاً، توارد معه على سبعة منها، و سلم له ثلاثة عشر.

و كيف كان فقد تكامل لها ثلاثون نوعاً، ثم اقتدى بها الناس في التأليف، إلى أن وصل إلى نابغة زمانه في هذا الفن؛ صبي الدين الحلبي (ت ٧٥٠ هـ)، والذي جمع في قصيدته المشهورة، في مدح الرسول ﷺ، الموسومة بـ (الكافية البديعية في مدح خير البرية) جمع فيها مائة و خمسين نوعاً، و هو أول من ابتدع البديعية و شرحها، ثم تبعه على ذلك جماعة من العامة و الخاصة.

خصائص الكتاب

الكتاب الذي بين يديك، كان في الأصل دروساً ألقيتها على طلاب المرحلة الأخيرة من دراسة المقدمات. أحببت أن أجمعها في كتاب، بعد أن قُت بتهديبها، و ترتيبها، و تبويبها من جديد، لكي تكون الفائدة أعم، و النفع منها أشمل.

و حاولت قدر المستطاع أن أجعله متميزاً بجملة من الخصائص الإيجابية. مستعيناً على ذلك بالله تعالى، و مستفيداً من خبرتي المتواضعة، و تجاربي الخاصة، التي قضيتها في تدريس هذه المادة لسنوات خلت، بحيث أصبحت نوعاً ما، قادراً على التمييز بين ما ينفع طالب هذه المادة، و بين ما يذهب جفاء.

و أهم هذه الخصائص

١. خلّوه عن الاستطراد، فإن كل ما يبحث فيه مرتبط إرتباطاً وثيقاً بالبلاغة، بل هو من صميمها. بينما هذه الميزة غير متوقّرة في جملة من الكتب البلاغية، خصوصاً القديمة منها، حيث كثر فيها الاستطراد في مسائل خارجة عن الفن، بل لا ترتبط به بعلة كالمسائل الفلسفية و الأصولية و الرياضية، بل و الطبية أيضاً.

٢. اشتغاله على تمرينات، تساعد الطالب على تطبيق القواعد البلاغية، التي تلقاها بصورة نظرية، فلا يكون جامداً على التعاريف، بل يستطيع أن يتجاوز منها إلى المصاديق. فيُرجى منه و الحالة هذه، أن يساهم في جعل الطالب بليغاً، كما يكون قد ساهم في جعله عالماً بفنّ البلاغة.

٣. خلوصه عن الإشكالات اللفظية، التي قد تؤدي الى صرف ذهن الطالب عن المطلوب الأساسي. وهذه مشكلة وقعت فيها كل الكتب البلاغية، التي هي شرح لمآثر، فإنها بطبيعة الحال، تكثر فيها الإشكالات اللفظية من الشارح على المآثر.

٤. كان ترتيبه بحيث لا يتوقف فهم السابق منه على اللاحق. وهذه خصيصة مهمة؛ لأن المطلوب السابق، المرتبط بأبحاث يأتي استيفازها لاحقاً، يؤدي إلى تشويش الفكرة، وعدم وضوحها وضوحاً تاماً لدى الطالب.

٥. طرحت فيه المسائل البلاغية بأسلوب متوسط بين الأسلوب العلمي، والأسلوب الأدبي. وذلك لأن طرحها بالأسلوب العلمي الجاف، لا يتناسب مع طبيعة المادة. و طرحها بالأسلوب الأدبي السلس، لا يتناسب مع كتاب معد للدراسة.

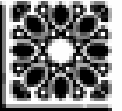
٦. لما كانت الصناعة إنما وضعت لفهم القرآن الكريم، والوقوف على إعجازه من الناحية البلاغية، فقد استبدلت الشواهد الشعرية المعقدة، بشواهد قرآنية، وأكثر منها، حتى كادت أن تبلغ الآيات المستشهد بها في هذا الكتاب الخمسة.

٧. تبويب علم المعاني في هذا الكتاب، مخالف للتبويب المتعارف عند علماء البلاغة، وذلك لأن التبويب القديم مستوجب للتكرار، حيث تجد أن نكات الحذف - مثلاً - تذكر مرّة في باب المسند إليه، وأخرى في باب المسند، وثالثة في باب متعلقات الفعل، وكذا الحال في غيره من الأحوال. و فراراً عن هذا المحذور، جعلت نفس الحذف باهياً، وتكلمت عن نكاته مطلقاً، سواء كان في المسند إليه، أم المسند، أم غيرها.

ولهذه ولغيرها من الخصاص، نرجو من الله العلي العظيم، أن يستطيع دارس هذا الكتاب، أن يفهم البلاغة على حقيقتها، و يبرع فيها، إذا ما تتبع مسأله، و حلّ قمارينه، بتأمل و روية. و مع كل ما ذكر، لا يخلو هذا الكتاب من أخطاء و اشتباهات، سببها قلة الزاد، و قصر الباع، فنستطيع القارئ الكريم عذراً، إذا ما مرّ على قصور أو تقصير فيها « والعذر عند كرام الناس مقبول ». و أخيراً أسأل الله تعالى، أن يجعل هذا العمل المتواضع، خالصاً لوجهه الكريم، و أن يتجاوز عن سيئاتي، و يغفر لوالدي و أساتذتي، و جميع من له حقّ عليّ، و أن يحشرنا مع محمد، و آله الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين، و الحمد لله رب العالمين.

قم المقدسة

١٠ ربيع الأول ١٤١٥ هـ



تعمیر



يبحث في البلاغة عن فنون ثلاثة: المعاني و البيان و البديع. و قبل الخوض في البحث عنها، عقدنا تمهيداً يحتوي على مطالب أربعة رئيسية:

المطلب الأول: في تعريف البلاغة و تقسيمها

البلاغة لغة تنبئ عن الوصول و الانتهاء، يقال: بلغ فلان مبتغاه؛ إذا حققه و وصل إليه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾^(١) أي: قاربته، و وصلن إليه. و اصطلاحاً: يتّصف بها الكلام و المتكلم فقط، دون المفرد؛ إذ لم يسمع عن العرب وصفهم المفرد بالبلاغة. و لعلّ السرّ في ذلك: أنّ الكلمة قاصرة بمفردها عن الوصول بالمتكلم إلى مراده.

١. بلاغة الكلام:

ذكر لها تعاريف و حدود متعددة، أخصرها و أرتبها من الناحية الفنية ما ذكره الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، و تبعه عليه جلّ من تأخّر عنه. و هي:

«مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»

و يفهم منه أنّ البلاغة تعتمد على ركنين أساسيين:

أحدهما: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

و الحال: هو الأمر الداعي للتكلم إلى أن يعتبر مع كلامه الذي يؤدي به أصل المراد

خصوصية ما.

أو فقل: هو الدافع أو المناسبة التي تملي على المتكلم أن يورد كلامه على صورة

مخصوصة من صور التعبير.

و مقتضى الحال: هو كلي الكلام المشتمل على تلك الخصوصية، التي اقتضاها و

استدعاها الحال.

و الكلام المطابق لمقتضى الحال: هو ذلك الكلام الخاص، الصادر من المتكلم، و

المشتمل على تلك الخصوصية. فيكون هذا الكلام الخاص مطابقاً لمقتضى الحال، باعتباره

فرداً من أفراد ما اقتضاه الحال.

فإنكار و تكذيب أصحاب القرية للرسولين، كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿إِذْ

أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾^(١) حال يقتضي الرد عليهم بكلام مؤكّد بمطلق تأكيد، و

هذا هو مقتضى الحال. و قول الرسل لهم بعد ذلك: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ مؤكّداً بيان،

كلام مطابق لمقتضى الحال.

ثانيهما: فصاحة الألفاظ، مفردتها و مركبها.

فلو طابق الكلام مقتضى الحال، و لم تكن ألفاظه فصيحة، لما كان بليغاً. و لذا توقف

تحقق البلاغة على تحقق الفصاحة، و اشتهر قولهم: «كَلَّ بليغ فصيح، و ليس كَلَّ فصيح بليغاً». و سياقي عن قريب شرح للفصاحة و أقسامها.

٢. بلاغة المتكلم؛

يُتَّصَف المتكلم بالبلاغة، إذا كان ذا قدرة على التعبير عن مقصوده بكلام فصيح، مطابق لمقتضى الحال، في أي غرض أراد، و أي وقت شاء، مع فقدان المانع، من مرض و نوم و نحوهما.

و إنما يكون كذلك، إذا كان - مضافاً إلى ما سيذكر في الفصاحة - محيطاً بأساليب العرب، عارفاً بِسُنَنِ نَحَاطِبِهِمْ في منافراتهم و مفاخراتهم، و مديحهم و هجائهم، و شكرهم و اعتذارهم، فيجعل «لكل مقام مقالاً، و لكل موقف خطاباً». ثم إنه قد تبين لك أن التعرف على الفصاحة أمر ضروري في المقام، لما تقدّم من توقّف تحقق البلاغة عليها.

الفصاحة لغة و اصطلاحاً

الفصاحة في اللغة لها استعمالات كثيرة، يجمعها معنى واحد، هو الظهور و الإبانة. قال تعالى: «وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً»^(١) أي: أبين. و في الاصطلاح يتصف بها ثلاثة أمور: المفرد، و الكلام، و المتكلم. أما الفصاحة في المفرد فتتحقق بسلامته من أمور ثلاثة:

١. تنافر الحروف: وهو «وصف في الكلمة تثقل بسببه على اللسان، و يعسر النطق بها». و من ذلك كلمة «المهمع» في قول إعرابي سئل عن ناقته، فقال: «تركبتها ترعى المهمع»، حيث لا يكاد اللسان يتلفظ بها بسهولة.

و الضابط في تمييز الكلمة المتنافرة عن غيرها، هو الذوق السليم، الناجم عن الاطلاع على الألفاظ المتداولة عند الفصحاء. أما نوعية الحروف الداخلة في تركيب الكلمة، فلا يصلح أن يكون ضابطاً؛ لعدم اطّرادها. فإنه قد تتركب كلمتان من نفس الحروف، و تكون إحداها ثقيلة دون الأخرى. و ذلك مثل «علم، و ملع» فإنّ الأولى خفيفة على اللسان، و لا ينبو عنها الذوق، بخلاف الثانية، مع اتحاد حروفها.

٢. الغرابة: و هي «كون الكلمة وحشية؛ غير ظاهرة المعنى، و لا مأنوسة الاستعمال». و المدار في ذلك على العرب العرياء، لا المولدين، و إلا لخرج كثير من قصائد العرب، بل جلّها عن الفصاحة.

و من ذلك «تكأ كأم و افرقعوا» في قول عيسى بن عمرو النحوي: «ما لكم تكأ كأم عليّ كتكأ كنكم على ذي جنة، افرقعوا عني». فإنّ هاتين الكلمتين لعدم تداول استعمالهما في لغة المخلص من العرب، لم يذكرهما من اللغويين إلا من شدّ.

٣. مخالفة القياس: و ذلك بأن تكون الكلمة غير جارية على القانون الذي يتقرّر به حكم المفردات اللغوية، من حيث الهيئة التصريفية.

و المفردات اللغوية يتقرّر حكمها بأحد أمرين:

الأول: القانون التصريفي، فلو اقتضى ادغاماً في الكلمة، فجاءت على خلاف ذلك،

كانت خارجة عن حيز الفصاحة. كالأجلل في قول أبي النجم:

الحمدُ لله العليّ الأجلّ الواحد الفرد القديم الأوّل

فإن القانون الصرفي يقتضي أن يقال الأجلّ، لاجتماع المثليين، و تحرك الثاني، و هو يقتضي الإدغام، و لكن الضرورة الشرعية ألجأته لفكّه. و ذلك لا يمنع من تحقّق الإخلاق بالفصاحة.

الثاني: ثبوت الاستعمال الكثير، و لو كان على خلاف القياس، إذ هو كاستثناء من القانون، ككلمة «سرر» في قوله تعالى: ﴿مُشْكِيّنَ عَلَى سُرُرٍ مُّصْفُوفَةٍ﴾^(١)، فإنّ القياس في جمع سرير هو الأسرّة، أي يجمع على أفعلة و فعلان، مثل أرغفة. لكن جاءت مخالفة القياس لدليل، و هو ثبوت الاستعمال الكثير.

و أما الفصاحة في الكلام فتحقق بعد فصاحة مفرداته، بسلامته من أمور أربعة: بعضها راجع إلى اللفظ، و البعض الآخر راجع إلى المعنى.

فأما الراجع إلى اللفظ فأمران:

أحدهما: تناثر الكلمات، و هو أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان في حالة اجتماعها، و إن كانت كلّ واحدة منها سهلة النطق إذا أخذت لوحدها، و نطق بها مستقلة، كالبيت الذي أنشده الجاحظ:

و قبرٌ حربٍ بمكانٍ قفرٌ و ليس قرب قبرٍ حربٍ قبرٌ

ثانيهما: ضعف التأليف، و هو أن يكون الكلام جارياً في تركيبه على خلاف القانون المشهور عند جمهور النحويين، كعود الضمير على متأخر لفظاً و رتبةً في قول سليط بن سعد:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبيرٍ و حُسنِ فعلٍ كما يجزى بسنارٍ

و أما الراجع إلى المعنى فأمران أيضاً:

أحدهما: التعقيد اللفظي، وهو أن يكون في الكلام صعوبة في فهم المعنى المراد، بسبب الخلل الواقع في نظم الكلام و تركيبه، وذلك بأن تكون ألفاظه على خلاف ترتيب المعاني بالتقديم و التأخير، و الفصل بين المتلازمين، أو نقص منها بالحذف الموجب للفساد. و من هذا الباب قول الفرزدق في مدح خال هشام بن عبد الملك:

و ما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

الذي قال عنه المبرد: «إنه أقبح الضرورة، و أهجن الألفاظ، و أبعد المعاني. و كان ينبغي أن يقول إذا أراد وضع الكلام في موضعه: و ما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك، أبو أم هذا المملك أبو هذا المدوح، فدلّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، و هجّنه بما أوقع فيه من التقديم و التأخير».

ثانيهما: التعقيد المعنوي، وهو أن يكون في الكلام صعوبة في فهم المعنى المراد، لعدم انتقال الذهن بسهولة من المعنى الأصلي الموضوع له اللفظ، إلى المعنى الملايس له، المراد للمتكلم. و ذلك بسبب عدم تعارف الاستعمال، مع خفاء القرائن. كما لو قلت: «نشر الملك ألسنه في المدينة» مريداً جواسيسه.

و من هذا الباب قول العباس بن الأحنف:

سأطلبُ بعدَ الدارِ عنكم لتقربوا و تسكبُ عيناَيَ الدموعَ لتجمدا

حيث عبّر عن الفرح و السرور، الناتج عن دوام لقاء الأحبة، بجمود العين. و قد أخطأ في هذا التعبير؛ لأن الانتقال عرفاً، إنما هو من جمود العين إلى بخلها بالدموع حال إرادة البكاء، و هي حالة حزن، كما يشعر بذلك قول الخنساء في مرتبة

أخيها صخر:

أعينيَّ جوداً ولا تجمداً ألا تبكيانِ لصخرِ الندى

و أما المتكلم فيتَّصف بالفصاحة، إذا كان ذا قدرة على التعبير عن مقصوده بكلام فصيح، في أي غرض أراد، و أي وقت شاء، مع فقدان المانع من مرض و نوم و نحوهما. و إنما تحصل هذه القدرة لمن كان ذا سليقة جيِّدة، و اطلاع وافر على منتور الكلام و منظومه، الصادر عن فصحاء العرب، و ذا إلمام واسع بمفردات اللغة و علومها، مع ممارسة دائمة لها.

المطلب الثاني: في موضوع علم البلاغة

إعلم أن الموضوع، أو المحور الذي تدور حوله مسائل علم البلاغة، هو «الكلام العربي الفصيح، من حيث مطابقته لمقتضى الحال». و تخصص الكلام بالعربي مجرد اصطلاح، لأن الصناعة إنما وضعت لإبراز إعجاز القرآن الكريم، و هو قد نزل باللغة العربية. و إلا فباقي اللغات تجري فيها جملة من القواعد البلاغية التي ستطلع عليها.

المطلب الثالث: في الغرض من تدوين هذا العلم

الغرض الرئيسي الذي دعا علماء الأدب إلى تدوين هذا العلم، هو الاطلاع على أسرار و دقائق القرآن العظيم، و إبراز إعجاز الكتاب المبين، بما أودع فيه من بدائع الأفكار، و لطائف النكات، مع حسن التأليف، و براعة التركيب.

المطلب الرابع:

في وجه انحصار ما يبحث عنه في البلاغة في الفنون الثلاثة.

بما تقدّم يعرف أن البلاغة تتوقّف على:

(أ) الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد.

(ب) الاحتراز عن الأسباب الخلة بالفصاحة.

أما توقّفها على الأول: فباعتبار أنه لو اتقى الاحتراز المذكور، و أتى بالكلام كيفما

اتفق، أمكن أن لا يطابق مقتضى الحال، فتتني حينئذ البلاغة. و أما توقّفها على الثاني،

فواضح بما تقدّم.

هذا، و الذي تعرف به الأسباب الخلة بالفصاحة أمور:

١. علم متن اللغة، الذي له مدخلية في تمييز الغريب عن غيره.

٢. علم التصريف، الذي يعرف به المخالف للقياس من غيره.

٣. علم النحو، الذي ينفع في تمييز ما فيه ضعف تأليف، و تعقيد لفظي عن غيره.

٤. الذوق السليم، و الحس المرهف، المعين على تمييز المتنافر عن غيره.

فعلم من ذلك، أن بعض ما تتوقّف عليه البلاغة، مدرك بعلوم وضمت من قبل

العلماء، و بعضها مدرك بالذوق السليم، الحاصل من كثرة الممارسة لكلام العرب. فسّت

الحاجة إلى وضع علمين، يحرز بأحدهما عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، و بالآخر عن

التعقيد المعنوي. و أطلقوا على الأول علم المعاني، و على الثاني علم البيان، و المجموع علم

البلاغة.

و إنما اختصّت البلاغة بهذين العلمين، مع توقّفها على غيرهما، لأنّ الداعي إلى

وضعها تكميل ما تتوقف عليه البلاغة، بينما باقي العلوم المتوقفة عليها البلاغة كالنحو و
الصرف - وضعت لأغراض مستقلة غير البلاغة.

ثم مسّت الحاجة إلى علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد اتصافه بالبلاغة،
فوضعوا علم البديع، و جعلوه من توابع البلاغة.^(١)

و أتضح مما تقدّم أمور:

أحدها: انحصار ما يبحث عنه في البلاغة في الفنون الثلاثة.

ثانيها: الوجه في كون علم البديع من توابع البلاغة.

ثالثها: العلوم التي ينبغي على طالب البلاغة معرفتها.

١. خالف في ذلك قوم، فجعلوا البديع من البلاغة. انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي المجلد الثاني ص: ٣١٧
طبع دار الفكر. و تحقيق الحال في المسألة خلاف ما بنينا عليه في الكتاب.




اسئلة و تمرينات

١. لماذا لا تتحقق البلاغة بدون تحقق الفصاحة؟
٢. ما الفرق بين تنافر الحروف و تنافر الكلمات؟
٣. أذكر مثلاً لكل واحد من مخلات فصاحة المفرد.
٤. عدم فهمنا لبعض ألفاظ القرآن الكريم، هل يوجب خللاً في فصاحته؟
ولماذا؟
٥. هل تعرف السرّ في إرجاعنا كلاً من تنافر الكلمات، و ضعف التأليف إلى اللفظ، و كلاً من التعقيد اللفظي و المعنوي إلى المعنى؟
٦. أذكر ما في الأمثلة التالية من مخلات الفصاحة:
 - (أ) فلا يُبْرَمُ الأمرُ الذي هو حَالٌ و لا يُحْتَلُّ الأمرُ الذي هو يَبْرَمٌ^(١)
 - (ب) خَلَّتِ البلادُ من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا^(٢)
 - (ج) أنى يكونُ أبا البرايا آدمُ و أبوك و الثقلانُ أنت محمدُ^(٣)
 - (د) و من جاهلٍ بي و هو يجهل جهلُهُ و يجهل علمي أنه بي جاهلٌ
 - (هـ) مباركُ الاسمِ أغرُّ اللقبِ كريمُ الجرشى شريفُ النسبِ^(٣)
٧. أذكر لكل واحد من التعقيد اللفظي و المعنوي مثلاً من عندك.
٨. على ضوء ما درسته، هل تستطيع أن تبين لنا رتبة علم البلاغة بالنسبة للعلوم الأدبية الأخرى؟
٩. لماذا اختصت البلاغة بعلمي المعاني والبيان، مع أنها تتوقف على علوم أخرى؟

١. المتنبي.

٢. للمري.

٣. قاله المتنبي في مدح سيف الدولة.



الفنّ الأوّل

علم المعاني



تعريف علم المعاني

رأينا أن البلاغة هي «مطابقة الكلام لمقتضى الحال»، و لمعرفة ذلك أصول و قواعد،

تؤلف بمجموعها فنأ أطلق عليه «علم المعاني».

و عليه يمكن تعريفه بأنه:

«علم يعرف به أحوال اللفظ العربي، التي بها يطابق اللفظ

مقتضى الحال».

توضيح ذلك: أن اللفظ العربي له أحوال كثيرة، المقصود منها في المقام: ما يعرض

على اللفظ من حيث إنه به يطابق مقتضى الحال، كالتأكيد و التجريد، و التقديم و

التأخير، و غير ذلك من الأحوال التي سيأتي التعرض لها. و احترزنا بالقييد الأخير عن

الأحوال التي ليست بهذه الصفة، كالإعلال و الصحة، و الإعراب و البناء، و ما أشبه ذلك

بما لا يدُّ منه في تأدية أصل المعنى.

فالمراد بالحال في المقام «تلك الصفة التي لو اشتمل عليها الكلام، لكان مطابقاً

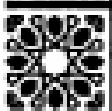
لمقتضى الحال». فقولك - مثلاً - لمنكر قيام زيد: «إن زيدا قائم» كلام مشتمل على

صفة التأكيد، بسببها صار مطابقاً لمقتضى الحال، بالتفصيل الذي تقدّم في تعريف البلاغة.

و فيما يلي نستعرض جملة من أحوال اللفظ العربي في ضمن أبواب ثمانية.

الباب الأول

أنواع الكلام



أنواع الكلام

الكلام: «هو اللفظ المفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها». وله نوعان:

النوع الأول: الكلام الخبري

تعريف الخبر

الخبر «هو الكلام المحتمل للصدق والكذب لذاته». و المراد بالصدق مطابقة الخبر

للواقع، و بالكذب عدم مطابته له. و النظر في احتمال الصدق و الكذب إلى الكلام نفسه،

بصرف النظر عن خصوصية الخبر، أو خصوصية الخبر. و ذلك لتدخل الأخبار الواجبة

الصدق، كأخبار الله تعالى، و البدييات المألوفة. و لتدخل الأخبار الواجبة الكذب،

كأخبار المتنبئين في ادعاء النبوة.

أغراض الجملة الخبرية

الخبر يساق لتحقيق أحد غرضين:

١. الغرض الأولي: وهو قصد الإخبار والإعلام. وهذا هو الغرض الأصلي من

إلقاء الخبر. وهو على ضربين:

(أ) فائدة الخبر: وهو يحصل من الخبر الملقى لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته

الجملة. وهذا يشمل جميع الأخبار التي يراد منها تعريف المخاطب بمضمونها، كالأخبار المتصلة بالحقائق العلمية، أو التاريخية، ونحوها.

(ب) لازم الفائدة: وهو يحصل من الخبر الملقى لإفادة المخاطب العالم بالحكم، أن

المتكلم عالم به أيضاً. كقولك لمن حفظ القرآن: «حفظت القرآن».

٢. الغرض الثانوي: وهو قصد معنى من المعاني - غير الإخبار والإعلام - التي

تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال. وهي كثيرة أهمها:

(أ) التحزّن والتحصّر: كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا

أُنثَىٰ﴾^(١).

(ب) الفخر: كقوله ﷺ: «إن الله اصطفاني من قريش».

(ج) الإسترحام: ومنه ما ورد في دعاء كميل: «و أنا عبدك الضعيف الذليل، الحقير

المسكين المستكين».

(د) المدح: كقول عبد الله بن رواحة يمدح النبي ﷺ، وقيل إنه أمدح بيت قائلته العرب:

تَحْمَلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مَعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلَىٰ نَوْرُهُ الظُّلْمَا^(٢)

١. آل عمران: ٣٦.

٢. الناقة الأدماء: الشديدة البياض والمعتجر: الملتف.

إلى غير ذلك من المعاني، التي تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، و يطلع عليها كل ممارس للمقال.

أضرب الخبر

إن لكل كلمة في البلاغة حساباً. فينبغي على المتكلم أن يراعي حال السامع في خطابه معه، فيصوغ كلامه على قدر حاجته، لا زائداً عنه، لتلا يكون عابثاً، و لا ناقصاً لتلا يكون مخللاً. و من هذا المنطلق تنوع الخبر - بحسب حال المخاطب - إلى ثلاثة أضرب:

١. الخبر الابتدائي: و هو الخبر الذي من حقه أن يلقى لمخاطب، خالي الذهن من مضمونه. كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل الزهد إخفاء الزهد»^(١).
و حكم هذا الضرب أن يكون خالياً من مؤكدات الحكم. و ذلك لأن خلو الذهن من شيء، يستوجب استقراره فيه، عند عرضه عليه، من دون حاجة إلى مؤكد.
قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا
٢. الخبر الطلبي: و هو الخبر الذي من حقه أن يلقى لمخاطب متردد، و شك في مدلوله، طالب للوصول إلى معرفته، و الوقوف على حقيقته. و منه قوله تعالى:
﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾^(٢).

و حكم هذا الضرب، أنه يستحسن توكيده بمؤكد، ليتمكن الحكم من نفس المخاطب، و يقطع به تردده و شكه.

١. نهج البلاغة، الحكمة ٢٨.

٢. البقرة: ٦٩.

٣. الخبر الإنكاري: وهو الخبر الذي يلقى لمخاطب منكر لدلوله، معتقد بخلافه.

و حكمه أنه يجب توكيده، بحسب درجة الإنكار، قوة و ضعفاً. و يظهر ذلك بالتأمل في قوله تعالى: ﴿وَ أَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِن أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٣﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿٤﴾﴾^(١).
فإنه لمبالغة المخاطبين في الإنكار في المرة الثانية أكد بثلاثة مؤكّدات - القسم وإنّ و اللام - بينما في المرة الأولى اكتفى بمؤكّد واحد.^(٢)

هذا، و إلقاء الكلام بهذه الأضرب الثلاثة، المتدرجة على حسب جهل المخاطب

بمضمون الخبر، أو تردده فيه، أو انكاره له، هو ما يقتضيه ظاهر الحال. و يستى هذا الأسلوب عند علماء البلاغة بـ «تخريج الكلام على مقتضى الظاهر».

١. يس: ١٣-١٦.

٢. تنعيم: في مؤكّدات الحكم. و هي كثيرة، أهمها:

(١) إن السكسورة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٢) لام الإبتداء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمَلِكٌ عَلِيمٌ﴾.

(٣) القسم، كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنتُمْ لشردين﴾.

(٤) ضمير الفصل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ النقص الحق﴾.

(٥) حروف التنبه، كقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

(٦) نونا التوكيد، كقوله تعالى: ﴿لِيَسْجُنَّ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّاحِرِينَ﴾.

(٧) الحروف الزائدة، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

و عندهم أسلوب آخر يصطلحون عليه باسم «تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر». وله أنواع كثيرة المناسب منها مع مقامنا أربعة.

١. تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد، فيؤكد له الخبر استحساناً، و الإعتبار الداعي إلى الخروج بالكلام عما يقتضيه الظاهر، هو تقديم كلام على الخبر، من شأنه أن يجعل المقام مقام تردد.^(١) و جعل منه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ﴾^(٢). أي: لا تكلمني يا نوح في شأن قومك، و لا تشفع في دفع العذاب عنهم. و هذا كلام يلوح بالخبر تلويحاً، و يشعر بأنه قد حق عليهم العذاب، فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب، في أن القوم حُكم عليهم بالإغراق، أم لا؟ فقول: «إنهم مفرقون».

٢. تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن، فيترك له التأكيد وجوباً، و الاعتبار الداعي إلى ذلك؛ وجود شواهد و دلائل، لو تأملها المنكر، لالتفت إليها، و ارتدع عن إنكاره. كقولك لمنكر الإسلام: الإسلام حق. و عليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(٣).

٣. تنزيل العالم بالحكم منزلة المنكر، فيؤكد له الخبر وجوباً، بعد أن كان مقتضى الظاهر عدم مخاطبته. و ذلك لظهور علامات الإنكار عليه. و منه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾^(٤)، فالمخاطب غير منكر للموت، لكن حيث إنه قد ظهر عليه علامات الإنكار، لتعاقبه في الغفلة، و الإعراض عن العمل، كمن يعتقد أنه مخلد في الدنيا، نزل منزلة المنكر له.

١. و لو تردد فيه المكلف بالفعل لخرج عن التزليل، و دخل في الأسلوب الأول.

٢. هود: ٣٧.

٣. البقرة: ١٣٦.

٤. المؤمنون: ١٥.

٤. تنزيل العالم بفائدة الخبر و لازمها منزلة الجاهل بها، فيلحق إليه الخبر كما يلحق للجاهل. و ذلك لعدم جريه على مقتضى علمه. و عليه جرى قول الفرزدق في مدحه للإمام السجادة عليه السلام :

هذا ابنٌ خيرٍ عبادِ الله كلهم هذا التقيّ النقيّ الطاهر العَلَمُ

هذه هي الأنواع التي ترتبط بالمقام من أسلوب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وله أنواع أخرى، أشار إليها علماء البلاغة في أماكن متفرقة، لا بأس بذكر أهمها.

الإلتفات

و هو العدول من حالة من الحالات الثلاث - التكلم و الخطاب و الغيبة - التي يقتضيها الظاهر إلى حالة أخرى منها. و له ست صور:

١. الإلتفات من التكلم إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. (١)

٢. الإلتفات من التكلم إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ﴾. (٢)

٣. الإلتفات من الخطاب إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾. (٣)

٤. الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمُ﴾. (٤)

١. يس: ٢٢.

٢. الكوثر: ٢٠.

٣. هود: ٩٠.

٤. يونس: ٢٢.

٥. الإلتفات من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَخَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَدْرٍ مَيْتٍ﴾ (١).

٦. الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (٢).

هذا، و الإعتبارات الداعية إلى العدول عن مقتضى الظاهر، في باب الإلتفات كثيرة، لكنهم ذكروا له اعتباراً عاماً يجري في كثير من أمثله؛ و هو: التفنن في الأسلوب، الموجب لتنشيط السامع، و جعله أكثر تنبهاً للإصغاء إلى الكلام، حيث إن لكل جديد لذة، و لكل طارئ بهجة. و هناك بعض المواضع من الإلتفات تختص باعتبارات و لطائف، لا يطلع عليها إلا من أوتي ذوقاً سليماً، و فهماً كافياً. و إليك بعض الأمثلة على ذلك:

(أ) قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * أَيَاكَ نَعْبُدُ﴾ (٣)، حيث التفت من الغيبة إلى الخطاب، ليشير إلى أن الخلق قاصرون عن مخاطبته، فإذا عرفوه بما هو له، و توسلوا للقرب إليه، بالثناء عليه، و أقروا بالمحامد له، و تعبدوا له بما يليق بهم، تأهلوا - حينئذٍ - لمخاطبته و مناجاته، فقالوا: ﴿أَيَاكَ نَعْبُدُ وَ أَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٤).

(ب) قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرِمْ﴾ (٥)، حيث لم يقل «لنا»، تحريضاً على فعل الصلاة لحق الربوبية.

١. قاطر: ٩.

٢. مريم: ٨٨، ٨٩.

٣. الفاتحة: ١، ٥.

٤. الفاتحة: ٥.

٥. الكوثر: ١، ٢.

٢. الأسلوب الحكيم

أطلق عليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني اسم «المغالطة»، وله نوعان:

١. تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، بحمل كلامه على خلاف مراده. و الإعتبار الداعي إلى ذلك هو تشبيه المخاطب على أنه كان الأولى به أن يقصد هذا المعنى المحمول عليه الكلام، لا ذاك المراد له.

و من هذا الباب قول ابن القبئري لما قال له الحجاج متوعداً «لا حملتكَ على الأدهم»: «مثل الأمير يحمل على الأدهم و الأشهب». حيث أبرز وعيده في معرض الوعد، و أراه بألطف وجه، أن من كان على صفته في السلطان و بسطة اليد، فجدير بأن يُصَفد، لا أن يُصَفد.

٢. تلقي السائل بغير ما يتطلب، بتزليل سؤاله منزلة غيره. و الإعتبار الداعي إلى ذلك هو تشبيه السائل على أن ذلك الغير، هو الأولى بحاله و المهم له. و منه قوله تعالى: «يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللّٰهِ الدِّينُ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ أٰبْنِ السَّبِيلِ»^(١)، حيث سألوا عن بيان الشيء الذي ينفقونه، فأجيبوا ببيان المصارف، تشبيهاً على أن المهم هو السؤال عنها، لأنَّ النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع في موقعها المناسب.

التعبير عن المضارع بلفظ الماضي و عكسه

و أهمّ الإعتبارات الداعية إلى الأوّل هو التشبيه على تحقق وقوع مضمون الخبر، و يغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة، المتوعد بها، فيعدل فيه إلى لفظ

الماضي، تقريراً و تحقيقاً لوقوعه. و حمل عليه قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

و أهمّ الإعتبارات الداعية إلى الثاني هي إرادة استحضار الصورة العجيبة التي مرت و انتقضت، حتى يحتمل للسامع أنها تحصل في الحال، لأنّ المضارع يدلّ عليه. و منه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَخَابَهَا﴾^(٢).

النوع الثاني: الكلام الإنشائي

تعريف الإنشاء

«الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل صدقاً و لا كذباً لذاته». و قد مرّ في تعريف الخبر تفسير الصدق و الكذب. و أما قيد «لذاته» فهو هنا لإدخال بعض الجمل الإنشائية، التي يصح وصفها بالصدق أو الكذب، باعتبار ما تستلزم من إخبارات تتصف بأحدهما، لا باعتبار ذاتها. كما لو سأل الغني سؤال الفقير، و استفهم المستفهم عن شيء مجهله. فإنّ الأوّل يصح رميه بالكذب، كما يصح رمي الثاني بالصدق، لكن لا باعتبار ذاتيهما.

أقسام الإنشاء^(٣)

للإنشاء أقسام كثيرة نكتفي بذكر ثلاثة منها، لقلة المباحث البلاغية المتعلقة بغيرها.

١. الزمر: ٦٨.

٢. فاطر: ٩.

٣. مما ينبغي الالتفات إليه، أنّ الإنشاء المبحوث عنه في المقام هو الإنشاء الطلبي. أما غير الطلبي فقد أغفلنا ذكره هنا لقلة المباحث المتعلقة به. مضافاً إلى أنّ في عدّ بعض أقسامه من الإنشاء نظراً.

فإن صيغ المدح والذم - مثلاً - لا توافق على إنشائيتها. كيف، و قوله: «نعم الرجل زيد» معناه: أمدح الرجولة في زيد، و هذا كلام خبري محتمل الصدق و الكذب. و الشاهد على ذلك، وقوع «نعم» خبراً لأنّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نَعِمًا بِعِبَادِهِ﴾. و كذا الحال في التعجب و القسم و التقليل و التكثير.

الأمر

معناه الأصلي

الظاهر أنه موضوع: «الطلب حصول الفعل من المخاطب، على وجه الاستعلاء و الإلزام». وله أربع صيغ هي:

١. فعل الأمر، نحو: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(١).
٢. المضارع المجزوم بلام الأمر، نحو: ﴿فَلْيَتَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(٢).
٣. إسم فعل الأمر، نحو: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٣).
٤. المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٤).

معانيه الثانوية

كثيراً ما تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي، لتدل على معانٍ أخرى، تستفاد من سياق الكلام، و قرائن الأحوال، و إليك بعض هذه المعاني:

١. الدعاء: و هو الطلب الصادر من الداني إلى من هو أعلى منه منزلةً و شأنًا، على سبيل التضرع و الخشوع. نحو: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾^(٥).
٢. التعجيز: و هو مطالبة المخاطب بعمل لا يقدر عليه، إظهاراً لعجزه. نحو: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾^(٦).

١. الإسراء: ٧٨.

٢. قريش: ٣.

٣. العائدة: ١٠٥.

٤. البقرة: ٨٣.

٥. النمل: ١٩.

٦. البقرة: ٢٣.

٣. التهديد: نحو: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١).

للعلم بأنه ليس المراد أمرهم بأن يفعلوا ما شاؤوا، و القرائن تدلّ على أن المراد التخويف و الوعيد، لا الإهمال.

٤. التسخير: و هو التبديل من حالة إلى حالة أخرى، فيها مهانة و مذلة. نحو:

﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٢).

٥. الإهانة: و تكون بتوجيه الأمر إلى المخاطب بقصد استصغاره و تحقيره. نحو:

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٣).

٦. التّخَيُّ: و هو طلب محبوب لا طماعية فيه. و منه قول امرئ القيس:

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ و ما الإصباحُ منك بأمثلٍ

اذ ليس الغرض طلب الإنجلاء من الليل، لعدم كون ذلك في وسعه. لكن لشدة ما

انتابه^(٤) في تلك الليلة من وَجْدٍ، شعر بطولها، حتى كأنه لا طمع عنده بانجلائها «و ليل

المحبّ بلا آخر»، فصار الأمر بالإنجلاء تَمَنِّيًّا.

هذا، و الحق أنّ الأمر في جميع ما تقدّم، مستعمل في معناه الأصلي، أعني: الطلب.

لكن الداعي إلى إنشاء الطلب مختلف، فتارة يكون تهديداً، و أخرى يكون تعجيزاً، و

ثالثة يكون تسخييراً، و هكذا.

١. فصلت: ٤٠.

٢. البقرة: ٦٥.

٣. الدخان: ٤٩.

٤. من «غاب الأمر نوباً و نوبة»: نزل. و نابتهم نواب الدهر، أي: نزلت بهم.

٢. النهي

معناه الأصلي

الظاهر أنه «للزجر عن الفعل على وجه الاستعلاء». وله صيغة واحدة، هي

المضارع المقرون بلا الناهية، نحو: «وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا»^(١).

معانيه الثانوية

كثيراً ما تخرج صيغة النهي عن معناها الأصلي، لتدل على معانٍ أخرى تستفاد من

سياق الكلام، وقرائن الأحوال، أهمها:

١. الدعاء: نحو: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»^(٢).

٢. التيسير: نحو: «لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ»^(٣).

٣. التوبيخ: كقول الشاعر:

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنتِ آكلُهُ لن تبلغِ المجدَ حتى تلعقِ الصِّبرا

و ما ذكرناه في الأمر يجري في النهي أيضاً، فإنه مستعمل في مثل هذه الموارد في

معناه الأصلي، ولكنَّ الدواعي التي تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال مختلفة.

٣. الاستفهام

معناه الأصلي

الاستفهام: «طلب العلم بشيء غير معلوم من قبل».

و الأدوات الموضوعية له هي: الممزة، هل، من، ما، متى، أيتان، كيف، أين، أتي، أي، كم.

١. العجرات: ١٢.

٢. البقرة: ٢٨٦.

٣. التوبة: ٦٦.

و تقتصر في البحث على الهمزة و هل، لمزيد أهمية لها، و من أراد تفصيل الحال في بقية الأدوات فعليه بالكتب المبسطة.^(١)

أ) الهمزة

يطلب بها أحد أمرين

١. التصوّر: و هو إدراك المفرد، و يكون عند التردد في تعيين أحد شيئين. كقولك: «أدبس في الإثناء أم عسل»، عالماً بوجود شيء فيه، طالباً لتعيينه.
 ٢. التصديق: و هو إدراك وقوع النسبة، أو عدم وقوعها. و يكون الإستفهام عن نسبة تردد الذهن بين ثبوتها و انتفائها. كقولك: «أقام زيد». فأنت قد تصورت القيام و زيدا و النسبة بينهما، و لكنك استفهمت عن وقوع النسبة بينهما.
- و فيما يلي نتكلم عن بعض خصائص كل من الهمزتين:

خصائص همزة التصوّر

١. تكون النسبة فيها معلومة للمستفهم، و المجهول له، إنما هو أحد طرفيها، كما مثل.
٢. المستفهم عنه بها هو ما يليها؛ ففي الإستفهام عن المسند، تقول: «أفي البيت زيد أم في المسجد»، و في الإستفهام عن المسند إليه، تقول: «أدبس في الإثناء أم عسل»، و في الإستفهام عن المفعول، تقول: «أزيداً ضربت أم عمراً».
٣. لا تقع «أم» بعدها إلا متصلة، و لا تكون منقطعة. و الفرق بينهما: أن المتصلة هي التي يكون ما بعدها داخلاً في حيز الإستفهام، و المنقطعة تكون بمعنى «بل»، فينتقل بها

١. على أن البحث في معانيها لا يرتبط بعلم البلاغة.

من كلام إلى آخر لا يمتد تأثير الإستفهام إليه.

٤. يجاب عنها بالتعيين، و لا يصح أن يقع في الجواب «لا» أو «نعم».

خصائص همزة التصديق

١. لا تكون النسبة معلومة فيها للمستفهم.

٢. إذا جاءت بعدها أم تكون منقطعة ليس إلا، كقولك: «أقت أم طلعت الشمس».

٣. لا يجاب عنها بالتعيين، بل بنعم أو لا.

ب) هل الإستفهامية

و الفرق بينها و بين الهمزة من جهات:

١. أنها لا تكون إلا للتصديق بخلاف الهمزة.

٢. أنها تدخل على الجملتين، الإسمية و الفعلية على السواء، بخلاف الهمزة، فإن

الغالب فيها أن تدخل على الأفعال، و لذا رُجِحَ النصب في قولك: «أزيداً ضربته».

٣. لا تدخل على المنق، فلا يقال: «هل لا قام زيد». بخلاف الهمزة، فإنها تدخل

عليه، كقوله تعالى: «أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ»^(١).

٤. تخصص الفعل المضارع بالإستقبال كالسين و سوف، بخلاف الهمزة.

٥. لا تقع بعدها «أم» إلا منقطعة، كقول الشاعر:

هل يسمعن النظر إن ناديته أم كيف يسمع ميّت لا ينطق

معانيه الثانوية

كثيراً ما تخرج أدوات الإستفهام عن معناها الأصلي - و هو طلب الفهم - لتدل على معاني أخرى، تفهم من سياق الكلام و قرائن الأحوال. أهمها:

١. الأمر: نحو: ﴿فَقُلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(١) أي: انتهوا.
٢. النهي: نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ قَالَ لَوْلَا أَنْ تَخْشَوهُ﴾^(٢) أي: لا تخشوهم.
٣. الترغيب: نحو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٣).
٤. التحذير: نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾^(٤).
٥. التهكم و الإستهزاء: نحو: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾^(٥).
٦. التقرير: و هو «حمل المخاطب على الإقرار و الاعتراف بأمر قد استقرّ عنده». نحو: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهِنَا يَا إِيزَاهِيمَ﴾^(٦).
٧. الإنكار: و هو على ضربين:
 (أ) الإنكار الإبطالي، و هو يقتضي عدم وقوع ما بعد الأداة، و أنّ مدعيه كاذب. نحو: ﴿أَفَعِيبْنَا بِالْمَخْلُوقِ الْأَوَّلِ﴾^(٧) أي: لم نعي.
 (ب) الإنكار التوبيخي: و هو يقتضي وقوع ما بعد الأداة، و أنّ فاعله ملوم. نحو: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْجُونَ﴾^(٨) أي: ما كان ينبغي أن يحصل ذلك.

١. المائدة: ٩١.

٢. التوبة: ١٣.

٣. الحديد: ١١.

٤. الفجر: ٦.

٥. الصافات: ٩١ - ٩٢.

٦. الانبياء: ٦٣.

٧. ق: ١٥.

٨. الصافات: ٩٥.

و التحقيق - كما ذكر في الأمر و النهي - أن الاستفهام في الأمثلة المتقدمة مستعمل في معناه الأصلي، لكن الدواعي التي تفهم من سياق الكلام، و قرائن الأحوال مختلفة.

خاتمة: في بيان أمرين

الأول: في استعمال الجملة الخبرية موضع الإنشائية.

كثيراً ما يقع الخبر موقع الإنشاء، و ذلك لنكات أهمها:

« إظهار المرص على وقوع المطلوب. كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ

أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(١)، فإن السياق يدل على أن الله تعالى طالب لذلك، لا أنه

بمجرد مخبر.

« الاحتراز عن صورة الأمر. كقول العبد لمولاه: «ينظر المولى إلي ساعة»، فإنه أكثر

تأديباً من قوله: «انظر إلي» بصيغة الأمر.

الثاني: في الفرق بين الإخبار بواسطة الاسم، و الإخبار بواسطة الفعل.

و هذا الأمر من المباحث المهمة التي تمس الحاجة في علم البلاغة إليه. و بيانه: أن

الأصل في الاسم على أنه موضوع، ليثبت به المعنى للشيء، من غير أن يقتضي تجدد،

شيئاً بعد شيء، و أما الفعل فالأصل فيه، أنه وضع ليفيد تجدد المعنى المثبت به و حدوده

شيئاً بعد شيء، فإذا قلت: «زيد منطلق»، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله

يتجدد و يحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: «زيد طويل، و

عمرو قصير». فكما لا تقصد ههنا، إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد و يحدث، بل

توجبها و تثبتها فقط، كذلك لا تتعرض في قولك: «زيد منطلق» لأكثر من إثباته لزيد.

و أما الفعل، فيقصد فيه إلى ذلك. فإذا قلت: «زيد هاهو ذا ينطلق»، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله شيئاً فشيئاً.

و إن شئت أن تحس الفرق بينها من حيث يلفظ، فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَيْحِيِّ﴾^(١)، فإن أحداً لا يشك في امتناع الفعل ههنا، و أن قولنا: «كلبهم يبسط ذراعيه» لا يؤدي الغرض. و ليس ذلك إلا لأنَّ الفعل يقتضي مزاولته، و تجدد الصفة في الوقت، و يقتضي الاسم ثبوت الصفة و حصولها، من غير أن يكون هناك مزاولته، و معنى يحدث شيئاً فشيئاً. و لا فرق بين ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ﴾^(٢)، و بين أن تقول: «و كلبهم واحد»، في أنك لا تثبت مزاولته، و لا تجعل الكلب يفعل شيئاً، بل تثبته بصفة هو عليها. فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب.

و يكون الفرق أوضح في الصفات المشبهة. فإنك إذا قلت: «زيد طويل، و عمرو قصير»، لم يصلح مكانه «يطول و يقصر». و إنما تقول: «يطول و يقصر» إذا كان الحديث عن شيء يزيد و ينمو، كالشجر و النبات و نحو ذلك مما يتجدد فيه الطول، و يحدث فيه القصر. أما و أنت تتحدث عن هيئة ثابتة، و عن شيء قد استقر طوله، و لم يكن ثمّ تزايد و تجدد، فلا يصلح فيه إلا الإسم.

نعم، الإسم قد يفيد - علاوة على إثبات المعنى لشيء - الدوام و الاستمرار، و ذلك بمعونة سياق الكلام، و قرائن الأحوال، كما لو وقع في معرض المدح أو الذمّ، أو غير ذلك مما يقتضي الدوام و الاستمرار. كقول النضر بن جؤيئة:

١. الكهف: ١٨.

٢. الكهف: ١٨.

لا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرَّتْنَا لَكِن يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ^(١)

حيث أفاد أن انطلاق الدرهم من الصرة، أمر ثابت دائم لا يتجدد، مبالغة في مدحهم بالكرم، و أن الدرهم ليس له استقرار أصلاً في الصرة.

و كذا الحال في الفعل، فإنه قد يخرج عن أصله المذكور، ليفيد الاستمرار التجددي شيئاً فشيئاً، بحسب المقام و بمعونة القرائن، كما لو وقع في معرض المدح أو الذم، أو نحو ذلك مما يقتضي الاستمرار التجددي. كقول المتنبي في المدح:

تُدَبِّرُ شَرْقَ الأَرْضِ وَ الغَرْبَ كَفُّهُ وَ لَيْسَ لَهَا يَوْمًا عَنِ المَجْدِ شَاغِلٌ

فقرينة المدح تدل على أن تدبير الممالك ديدنه، و حاله المستمرة التي لا يحميد عنها، و أنه يتجدد منه التدبير أنا فأنا.

١. المشهور نصب - صُرَّتْنَا على أنه مفعول، و الأفضل نصب - الدرهم - ليكون عدم الالفة من جانب الصرة.



اسئلة و تمرينات

١. هل باستطاعتك ذكر أغراض ثانوية للجمل الخبرية لم تذكر في الكتاب؟ مع التمثيل لها.
٢. قال الشاعر:
جاء شقيق عارضاً رُفحةً إنَّ بني عَمِّكَ فيهم رِماحُ
أ) في البيت تخريج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر، بيّن ذلك.
ب) ما هي النكتة في ذلك؟
ج) ما هو الغرض من إلقائه؟
٣. أذكر لكل واحد من صور الإلتفات الست مثلاً من القرآن الكريم.
٤. من أي صورة من صور الإلتفات قوله تعالى: ﴿إنا كنا مرسلين رحمة من ربك﴾^(١)؟
٥. أذكر كيف خرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيما يلي:
أ) ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾^(٢).
ب) ﴿و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾^(٣).
ج) ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾^(٤).

١. الدخان: ٥-٦.

٢. البقرة: ١٨٩.

٣. الأعراف.

٤. الحج: ١.

(د) قَالَ تُقَلِّتُ إِذْ أَتَيْتُ مَرَاراً قَلْتُ تُقَلِّتُ كَاهِلِي بِالْأَيْدِي
قَالَ طَوَّلْتُ قَلْتُ أَوْلَيْتُ طَوَّلاً قَالَ أَبْرَمْتُ قَلْتُ حَبْلٌ وَدَادِي

٦. ما الفرق بين قيد «لذاته» في كل من تعريفي الخبر والإنشاء؟

٧. بيّن المراد من صيغ الأمر فيما يلي:

(أ) «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي» * واحلل عقدة من
لساني^(١).

(ب) «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»^(٢).

(ج) «قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ»^(٣).

(د) أَوْلَيْتُكَ أَبَانِي فَجِئْتَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ^(٤)

٨. هل تستطيع أن تذكر ثلاثة معان لصيغ الأمر من دون أن تكون

مذكورة في الكتاب؟

٩. أذكر بعض الدواعي لصيغ النهي بلا أن تكون مذكورة في الكتاب.

١٠. أذكر دواعي الإستفهام فيما يلي.

(أ) «أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ»^(٥).

(ب) «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ»^(٦).

١. طه: ٢٥-٢٦-٢٧.

٢. المائدة: ٦.

٣. إبراهيم: ٣٠.

٤. الفرقان: ١٤.

٥. الشعراء: ١٦٥.

٦. الزخرف: ١٨.

ج) «أست بريكم»^(١).

د) «أصلو تك تأمرك أن نترك ما يعبد أباؤنا»^(٢).

ها) «هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم»^(٣).

وا) «وقل للذين أتوا الكتاب و الأيمن أسلمتم»^(٤).

١١. أذكر مثالين لكلّ من همزتي التصور و التصديق.

١٢. قال تعالى: «قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم

عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين»^(٥).

أ) الإستفهام في الآية تصوري أم تصديقي؟

ب) ما هو الداعي لإنشائه؟

١٣. إملاً الفراغ بالكلمة المناسبة مع بيان السبب فيما يلي:

أ) «هل من خالق غير الله ... من السماء و الأرض» .

(رازق لكم - يرزقكم)

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم ...^(٦)

(متوسم - يتوسم)

١. الأعراف: ١٧٣.

٢. هود: ٨٧.

٣. الصف: ١٠.

٤. آل عمران: ٢٠.

٥. سبأ: ٣٢.

الباب الثاني

الحذف و الذكر



الحذف والذكر

١. الحذف

وهو لغة الإسقاط و اصطلاحاً: إسقاط جزء من الكلام لدليل. و هو خلاف الأصل.

و يتفرع على ذلك أمران:

أحدهما: أنه إذا دار الأمر بين المحذف و عدمه، كان الحمل على عدمه أولى.

ثانيهما: أنه إذا دار الأمر بين قليل المحذف و كثيره، كان الاوّل هو الأولى.

دواعي الحذف وأسبابه

إذا لم يتعلق غرض المتكلم بالإبهام، فالأصل عدم جواز المحذف إلا إذا قامت على

المحذوف قرينة. لكن ذلك غير كافٍ في إدخال الكلام في سلك البلاغة، لأن القرينة إنما

هي لتصحيح المحذف، والمضني على الكلام صفة البلاغة، والمخرج له عن كونه مجرد ألفاظ

ملحقة بأصوات الحيوانات، اعتبارات و دواعي كثيرة، نذكر أهمها:

١. التفخيم و التعظيم، لما في الحذف من الإبهام، فيذهب الذهن كل مذهب، و يتشوف إلى ما هو المراد، فعند ذلك يعظم شأنه، و يعلو في النفس مكانه. ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ، زال ما كان يختلج في الوهم من المراد، و خلص للمذكور، و بهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب و التهويل على النفوس، و منه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(١)، فحذف الجواب، و جعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، و تركت النفوس تقدر ما تشاء، و لا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك؛ لأن فيها «ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر».

٢. رعاية الفاصله، كقوله تعالى: ﴿وَ الْأَضْحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ * مَا قَلَىٰ﴾^(٢).

٣. قصد الإحتقار، و إلى هذه النكتة أشار الشاعر بقوله:

و لقد علمتُ بأنهم نجسٌ و إذا ذكرتهم غسلتُ في

و منه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(٣)، أي: الكفار.

٤. تأتي الإنكار لدى الحاجة، كأن يذكر شخص، فنقول: «فاسق فاجر» من دون ذكر اسمه، ليتأتى لك الإنكار عند لومه.

٥. البيان بعد الإبهام، كما في مفعول فعل المشيئة و ما شابهه في المعنى، فإنهم لا

١. الزمر: ٧٣.

٢. الضحى: ١-٣.

٣. المجادلة: ٢١.

يكادون يذكرونه، إذا وقع ذلك الفعل شرطاً؛ إذ أن الجواب حينئذ يدل على المفعول و بينه. و عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) أي: لو شاء الله هدايتكم لهذاكم أجمعين، فإنه لما قيل: «لو شاء» علم أن هناك شيئاً تعلقت به المشيئة، لكنه مبهم، فلما جيء بالجواب، صار مبيناً، و هذا أوقع في النفس.

و ينبغي أن يعلم، أنه إنما يجوز حذف مفعول المشيئة، إذا لم يكن تعلق الفعل به غريباً. أما إذا كان كذلك، فيجب ذكره ليأنس السامع به، و عليه قول الخزيمي:

و لو شئتُ أن أبكي دماً لَبَكَيْتُهُ عليه و لكن ساحة الصبرِ أوسعُ

فلما كان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريباً؛ لقلة ذكره، ذكره الشاعر لتستأنس به النفس، و يستقر فيها.

٦. أن يكون الغرض الأصلي للمتكلم هو اثبات الفعل للفاعل أو نفيه عنه، فيحذف المفعول المعلوم؛ لتنصرف النفس إلى الغرض المذكور، و تخلص له. و من هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَ أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فسق لها ثم تولى إلى الظل^(٢) حيث حذف المفعول في أربعة مواضع؛ إذ المعنى: «وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم، و امرأتين تذودان غنمها، و قالتا: لا نسقي غنمنا، فسق لها غنمها». و ما ذلك إلا لأن الغرض هو أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، و من المرأتين ذود، و أنها قالتا: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء، و أنه كان من موسى ﷺ من بعد ذلك سقي. و أما ما كان المسقي، أغناً أم إبلاً، أم غير ذلك؟

١. التحل: ٩.

٢. القصص: ٢٣ - ٢٤.

فخارج عن الغرض، و موهم خلافه. و ذلك أنه لو قيل: «وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمها»، جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم، حتى لو كان مكان الغنم إبل، لم ينكر الذود. كما أنك إذا قلت: مالك تمنع أخاك؟ كنت منكراً المنع لا من حيث هو منع، بل من حيث هو منع أخ. فاحفظ هذه النكتة فإنما أطلنا البحث فيها لأهميتها، و لقلّة من تعرض لها من علماء البلاغة.

٢. الذكر

الأصل فيما لم تدل عليه قرينة أن يكون مذكوراً، و فيما دلت عليه القرينة أن يكون محذوفاً. و لكن قد تقتضي البلاغة ترجيح الذكر على الحذف، حتى مع قيام القرينة على المذكور. و النكات الداعية إلى ذلك كثيرة، أهمها:

١. التنبيه على غباوة السامع، و أنه لا يكتبني بالقرينة؛ إما لكونه هكذا واقعاً، أو لقصد إهاتته. كقول الفرزدق لهشام بن عبد الملك:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وَ طأته و البيتُ يعرفُ و الجبلُ و الحرمُ
هذا ابنُ خيرٍ عبادِ الله كلهم هذا السقيّ النقيّ الطاهر العَلَمُ

٢. كون إصغاء السامع مطلوباً، فيسقط له الكلام، و لذا يبسط الكلام مع الأحبة، كما في بسط موسى ﷺ إذ قيل له: «وَ مَا تِلْكَ بِتَمِينِكَ يَا مُوسَى»^(١)، و كان يتمّ الجواب بمجرد أن يقول: «عصا»، لكنه زاد فد: «قال هي عَصَايُ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْنَا وَ أَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَ لِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى»^(٢).

١. طه: ١٧.

٢. طه: ١٨.

٣. ابتهاج المتكلم و افتخاره، فيسط الكلام لذلك، كقوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم عليه السلام لما سئلوا: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾^(١): ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا مَا نَكْفِين﴾^(٢)، حيث قد بسطوا الكلام، ابتهاجاً منهم بعبادة الأصنام، و افتخاراً بمواظبتها، منحرفين عن الجواب المطابق المختصر، و هو: «أصناماً».

٤. الاستلذاذ بذكره، كما لو كان اسماً للحبيب، كقولنا عند ذكر اسم الرسول صلى الله عليه وآله: (اللهم صلّ على محمد و آل محمد)، و كان يمكننا الاكتفاء بـ «و آله».

١. الشعراء: ٧٠.

٢. الشعراء: ٧٦.



اسئلة و تمرينات

١. إذا قال قائل: «جاء الأمير»، و ترددنا في أن المراد: جاء الأمير نفسه، أم جاء غلامه؟ لكنه حذف من الجملة، فعلى أي معنى نحمل الكلام، و لماذا؟
٢. ما هي نكات و دواعي الحذف فيما يلي:
 - أ) «سيدكر من يخشى» و يتجنبها الأثقى^(١).
 - ب) «ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت»^(٢).
 - ج) «فأما من أعطى و اتقى»^(٣).
 - د) «من يشأ الله يُضِلِّله»^(٤).
٣. لماذا لم يحذف مفعول فعل المشيئة في قول الجوهري:

و لم يُبْقِ مِنِّي الشُّوقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي فلو شئتُ أن أبكي بكيْتُ تَفَكُّرَا

١. الأعلى: ١٠-١١.

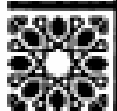
٢. الأنعام: ٩٣.

٣. الليل: ٥.

٤. الأنعام: ٣٩.

الباب الثالث

التعريف و التذكير



التعريف والتكثير

١. التعريف

لما كان لكل نوع من أنواع التعريف نكات و اعتبارات مخصوصة به، ناسب أن يعقد لكل واحد منها بحث مستقل.

١. التعريف بالإضمار

و الاعتبار الداعي إلى ذلك: كون المقام مقام حكاية التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة. و قد اجتمعت المقامات الثلاثة في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾^(١).

و حق الخطاب أن يكون مع مخاطب معين، و قد يترك إلى غيره؛ قصداً إلى تسميم

المخاطب، كما تقول: «فلان لثيم. إن أكرمته أهانك، و إن أحسنت إليه أساء إليك». فلا تريد مخاطباً بعينه، قصداً إلى أن سوء معاملته لا تختص بواحد دون آخر. و هذا النمط من الاستعمال كثير في القرآن، و منه قوله تعالى: ﴿وَأَلْوَتْ رَأَى إِذِ الْجُرْمُونَ نَا كَسُو رُو وَيَسِيهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١)، قصداً إلى تفضيح حال المجرمين، و أنها قد بلغت من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها، فلا تختص بها رؤية راء دون آخر، بل كل من يتأق منه الرؤية، له مدخل في هذا الخطاب.

٢. التعريف بالعلم

و إنما يصار إليه في موارد:

١. إذا كان المقام يستدعي إحضار الشيء بعينه باسم مختص به. و هذا هو المورد الأصلي لإيراد العلم، و عليه قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِشْمَاعِيلُ﴾^(٢).

٢. إذا كان المقام يستدعي تعظيماً أو تحقيراً و إهانة، و العلم صالح لها، خصوصاً الكنى و الألقاب منه.

إلى غير ذلك من النكات التي تعرف من سياق الكلام، و قرائن الأحوال.

٣. التعريف باسم الإشارة:

و النكات الداعية إلى ذلك كثيرة أهمها:

١. أن يقصد تحقير المشار إليه بالقرب، كقوله تعالى حكاية عن الكفار:

١. السجدة: ١٢.

٢. البقرة: ١٢٧.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (١).

٢. أن يقصد التعظيم بالبعد، كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿قَالَتْ قَدْ لَبِئْتَ
الَّذِي كُنتَ فِيهِ﴾ (٢).

٣. أن يقصد التنبيه عند تعقيب المشار إليه بأوصاف، على أنه جدير بما يرد بعد إسم
الإشارة من أجلها. و من هذا الباب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣). حيث
عقب المشار إليه و هو «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» بأوصاف متعددة: من الإيمان بالغيب، وإقامة
الصلاة، و الإنفاق مما رزقوا، ثم عرف المسند إليه بالإشارة، تنبيهاً على أن المشار إليهم،
أحقاء بما يرد بعد «أولئك» من كونهم على الهدى عاجلاً، و الفوز بالفلاح آجلاً، من
أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة.

إلى غير ذلك مما يستدعيه المقام، و يفهم من سياق الكلام.

٤. التعريف باسم الموصول

و هو أدق الأنواع أسراراً، و أطفها نكاتاً، و إليك أهمها:

١. إرادة التفضيم و التهويل. كقوله تعالى: ﴿فَقَعَسَيْتُمْ مِنَ الِيمِّ مَا غَشَيْتُمْ﴾ (٤)، فإن

الإبهام في المقام يترك النفس تذهب كل مذهب، حيث إنه يشير إلى أن ما غشيتهم قد بلغ

١. الفرقان: ٤١.

٢. يوسف: ٢٢.

٣. البقرة: ٣-٥.

٤. طه: ٧٨.

من العظم، بحيث لا تدرك، و لا تنى العبارة ببيانه.

٢. تنبيه المخاطب على خطئه، كقول عبدة بن الطيب:

إِنَّ الَّذِينَ تُرَوِّتُهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفِي غَلِيلَ صَدُورِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا^(١)

ففيه من التنبيه على خطئهم في هذا الظن، ما ليس في قولك: «إن القوم الفلاني».

٣. إفادة التعظيم، سواء كان التعظيم راجعاً إلى الخبر أم إلى غيره.

فالأول، كقول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَّكَ السَّمَاءَ بِنِي لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

حيث أورد إسم «إن» إسم موصول، تعظيماً لشأن الخبر و هو «بني»: لكونه فعل من

رفع السماء، التي لا بناء أعظم منها و لا أرفع. و هذا بخلاف ما لو قال: إن الله، أو الرحمن،

أو نحو ذلك.

و الثاني: كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)، ففيه تعظيم

لشأن شعيب بخلاف ما لو قال: إن القوم الفلاني.

٤. إفادة التحقير، سواء رجع إلى الخبر، أم إلى غيره. فالأول، كقولك: «إن الذي

لا يعرف في الفقه قد صنف فيه». و الثاني، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِبَاجَ

سَيِّئَاتِهِمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾^(٣).

٥. استهجان التصريح بالإسم كقوله تعالى: ﴿وَزَاوَدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن

نَفْسِهِ﴾^(٤) حيث إن التصريح باسم المرأة مستهجن عند العرب، و مستقبح عندهم.

١. الغليل هو الحقد، و قد يطلق على حرارة العطش.

٢. الأعراف: ٩٢.

٣. الأعراف: ١٥٢.

٤. يوسف: ٢٣.

خصوصاً في مثل المقام، فجرى الله عزّ وجلّ على سنن اعتقادهم.

٦. زيادة التقرير، وهو قد يكون للمسند، أو للمسند إليه، أو للفرض المسوق له

الكلام، والآية السابقة صالحة لذلك.

أما تقرير المسند وهو المرادة: فلما يفيد قوله: «في بيتها» من فرط الألفة، و شدة

المخالطة، فتكون متمكنة منه غاية التمكن، فيسهل عليها مرادته، و مطالبته بما تبغي.

بخلاف ما لو قيل: «راودته زليخا».

و أما تقرير المسند إليه؛ فإمكان وقوع الإيهام أو الاشتراك، في امرأة العزيز أو زليخا.

و أما تقرير الفرض المسوق له الكلام، وهو بيان نزاهة يوسف عليه السلام، و بعده عن

مظنة الفحشاء؛ فباعتبار أنه إذا استصم مع كونه في بيتها، متمكناً في خلوة معها، كان

غاية في النزاهة و العفة.

إلى غير ذلك من الإعتبارات، المناسبة للمقام، و المفهومة من سياق الكلام.

٥. التعريف باللام

و يأتي لأحد أمور:

١. الإشارة إلى معهود تقدّم ذكره في الكلام صراحة، وتسمى اللام والحالة هذه، بلام

العهد الصريح. نحو: «كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى قُرْعَوْنَ رَسُولًا فَنَقَصْنَا قُرْعَوْنَ الرَّسُولَ»^(١).

٢. الإشارة إلى معهود تقدم ذكره تلويحاً، و تسمى بلام العهد الكناي. نحو: «وَأَلَيْسَ

الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى»^(٢). حيث إن اللام الداخلة على اسم ليس، إشارة إلى ما سبق ذكره

١. المزمل: ١٥-١٦.

٢. آل عمران: ٣٦.

تلويحاً في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾^(١)، فإن لفظة ما و إن كانت تعم الذكور و الإناث، لكن التحرير - و هو أن يعتق الولد لخدمة بيت المقدس - إنما كان للذكور دون الإناث.

٣. الإشارة إلى معهود لم يتقدم ذكره، لكنه حاضر عند المخاطب حساً. كقولك: «القرطاس» لمن سدد سهماً.

٤. الإشارة إلى معهود لم يتقدم له ذكر أصلاً، و لم يحضر حساً، لكنه معلوم لدى المخاطب. نحو: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾. و قد تسمى اللام و الحالة هذه، بلام العهد العلمي.

٥. الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي هي، مع قطع النظر عن الأفراد، و تسمى بلام الجنس، نحو: الإنسان حيوان ناطق.

٦. الإشارة إلى فرد من الحقيقة غير معين في الذهن و الخارج. و تسمى بلام العهد الذهني، نحو: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّئْبُ﴾^(٢)، إذ المراد فرد غير معين من أفراد الذئب.

٧. الإشارة إلى الحقيقة من حيث شمولها لجميع أفرادها. فإن شملت كل الأفراد التي يتناولها اللفظ لغة فهي للإستغراق الحقيقي، نحو: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ﴾^(٣)، و إن شملت كل الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب مفاهيم العرف فهي للإستغراق العرفي، نحو: «جمع الأمير الصاغة»، أي: صاغة إمارته، لا صاغة الدنيا.^(٤)

١. آل عمران: ٣٥.

٢. يوسف: ١٢.

٣. الرعد: ٩.

٤. أعرضنا عن ذكر العرف بإضافة لعدم أهميته، و لأن أكثر نكاته تعرف مما تقدم.

٢. التنكير

وله أسباب و نكات أهمها:

١. عدم علم المتكلم بما يعين الاسم، سوى اسم جنسه. كقولك: سألت عنك رجلاً.
 ٢. إمراة الوحدة. نحو: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾^(١) أي: رجل واحد.
 ٣. إرادة النوع. نحو: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾^(٢) حيث إنهم لم يحرصوا على أصل الحياة كي تعرف، بل على ازدياد من نوع منها.
 ٤. إفادة التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعين و يعرف. نحو: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣).
 ٥. إفادة التحقير بمعنى إنحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يعرف. نحو: ﴿مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾^(٤) أي: من شيء حقير مهين، ثم بيته بقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾^(٥).
 ٦. قصد التجاهل؛ إما لإفادة الاستهزاء، و عليه ما يحكيه جلّ و علا عن الكفار: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَنِ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٦). حيث تجاهلوا اسم النبي ﷺ حتى كأنهم لم يكونوا يعرفون منه إلا أنه رجل ما، لقصد الاستهزاء، لعنهم الله. و إمّا لأجل التهرب؛ صيانة للمتهرب من أن يصاب بأذى، كما لو قال لك شخص: «من شتني؟» فتجيبه: رجل.
- إلى غير ذلك من النكات المناسبة للمقام، و المفهومة من سياق الكلام.

١. القصص: ٢٠.

٢. البقرة: ١٦.

٣. الصافات: ١٠٩.

٤. عبس: ١٨.

٥. عبس: ١٩.

٦. نأ: ٧.



اسئلة و تمرينات

١. أذكر نكات التعريف في الأمثلة التالية:

(أ) ﴿إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ﴾ (١)

(ب) ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (٢)

(ج) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ﴾ (٣)

(د) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَشْتَكُمُ﴾ (٤)

(هـ) ﴿وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ (٥)

(و) ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ

سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٦)

(ز) ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ (٧)

(ح) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ (٨)

(ط) إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلِكُهُ وَإِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَمْرَدًا

٢. أذكر نكات التنكير في الأمثلة التالية:

١. التوبة: ٤٠.

٢. السد: ١٠.

٣. العصر: ٢.

٤. الأعراف: ١٦٤.

٥. يوسف: ١٧.

٦. الحج: ٥٠-٥١.

٧. الأنبياء: ٣٠.

٨. البقرة: ٢٦.

- (أ) ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾. (١)
- (ب) ﴿فَأَذِنُوا لِمَنْ جَرَبَ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. (٢)
- (ج) ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصِدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ﴾. (٣)
- (د) لَمْ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِئْتُهُ ۖ وَ لَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعَرْفِ حَاجِبٌ
٣. قال السكاكي في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾^(٤): إنَّ تنكير - عذاب - للتعظيم.
- يوجد في الآية ما يدل على بطلان ذلك، بيته.
٤. هل تعرف النكتة في تنكير (جنات) و تعريف (الأنهار). في قوله تعالى:
- ﴿أَنْ لَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؟^(٥)
٥. أذكر بعض نكات التنكير مما لم يذكر في الكتاب.

١. البقرة: ٧.

٢. البقرة: ٢٧٩.

٣. سبأ: ٤٣.

٤. مريم: ٤٥.

٥. البقرة: ٢٥.

الباب الرابع

التقديم و التأخير



التقديم والتأخير

التقديم

و أسبابه كثيرة إليك أهمها:

١. أن يكون التأخير موجبا للإخلال ببيان المعنى، و لالتباسه بغيره، كقوله تعالى:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(١)، فإنه لو أخرج قوله: ﴿مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ﴾ عن قوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾، لتوهم أنه من صلة - يكتم - فلا يفهم أنه منهم.

٢. أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام، و رعاية الفاصلة،

كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٢)، فإنه لو أخرج ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ عن

﴿مُوسَى﴾ لفات تناسب الفواصل؛ لأن قبله: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْفَن﴾^(٣)، و

١. غافر: ٢٨.

٢. طه: ٦٧.

٣. طه: ٦٦.

بعده: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(١).

٣. أن يكون التقديم لإرادة التوبيخ و التعجيب من حال المتقدم، كتقديم المفعول الثاني على الأوّل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾^(٢)، و الأصل «الجن شركاء»، و قدم؛ لأن المقصود التوبيخ، و تقديم الشركاء أبلغ في حصوله.

٤. أن يكون المقدم أهم، إما بنظر المتكلم، كقولك عند الشروع في فعل: «بسم الله»، حيث يقدر المحذوف مؤخرًا.

و إما بنظر المخاطب؛ لتعجيل مسرته، كما في قولك: «قتل الخارجي فلان»، إذ ليس للناس في معرفة القاتل مزيد فائدة، و إنما الذي يهمهم، و يرتبط بمسرتهم، هو وقوع القتل بالخارجي، ليخلصوا من شره.

و من هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ﴾^(٣)، حيث قدم ضمير المخاطب على ضمير الغائب؛ لأن الخطاب فيها مع الفقراء؛ بدليل قوله: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾، فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم. و خالف ذلك في آية أخرى فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ﴾^(٤)، حيث قدم ضمير الغائب على ضمير المخاطب؛ لأن الخطاب فيها مع الأغنياء؛ بدليل ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب، دون رزقهم؛ لأنه حاصل، فكان أهم، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم.

١. طه: ٦٨.

٢. الأنعام: ١٠٠.

٣. الأنعام: ١٥١.

٤. الإسراء: ٣٦.

٥. أن يكون المقصود إفادة التقوي والتخصيص. وهذه النكتة تقتضي بسط الكلام،

فيقع البحث في حالتين:

الحالة الأولى: في تقديم المسند إليه.

وله صورتان:

الصورة الأولى: أن لا يكون المسند إليه واقعاً في حيز النفي. وحينئذ يكون التقديم

لإفادة أحد أمرين:

(أ) التخصيص؛ أي تخصيص المسند بالمسند إليه، وقصر المسند على المسند إليه. فإذا

قلت - مثلاً - أنا كتبت إلى فلان. فإنك تريد أن تدعي الإنفراد بذلك، والاستبداد به، و

تزيل الاشتباه فيه، وتردّ على من زعم أن ذلك كان من غيرك، أو أن غيرك قد كتب كما

كتبت. و من أمثلة ذلك قولهم في المثل: «أُتَعَلِّمُنِي بَضْبُ أُنَا حَرَشْتَهُ»^(١).

وكذا الحال فيما لو كان المتأخر منفيّاً. نحو: «أنت ما سعيت في حاجتي»، قاصداً إلى

تخصيصه بعدم السعي، وإثبات السعي لغيره. وإذا لم يصدر السعي في حاجتك من أحد،

فليس لك ذكر هذه الجملة، بل تقول: «ما سعيت في حاجتي».

(ب) التأكيد والتقوي، كما تقول في إنسان يعطي الجزيل: «هو يعطي الجزيل». حيث

لا تريد أنّ غيره ليس كذلك، بل تريد أن تؤكد ذلك و تقويه، و تحقق على السامع أن

إعطاء الجزيل دأبه. و من هذا الباب قوله تعالى: «وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يُخْلِقُونَ

شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ»^(٢) إذ ليس المراد انفرادهم بذلك، فإن غيرهم يُخلق أيضاً، بل المراد

١. يقوله العالم بالشيء لمن يريد تعليمه إياه. و حرش الضب واحترشه: صاده بالهيئة المروقة. وهي أن يحرك

يده على باب جحره ليظنه حية، فيخرج ذنبه ليضربها، فيأخذه.

٢. الفرقان: ٣.

تحقيق الحكم و توكيده.

و التقديم إنمّا يفيد التقوي؛ لأجل أنّ الإسم لا يؤتى به معرّى عن العوامل اللفظية إلاّ لحديث قد نُوي إسناده إليه. فإذا قلت: «زيد» فقد أشعرت قلب السامع أنّك أردت الحديث عنه. فإذا جئت بالحديث بعد ذلك. و قلت: «قام»، دخل على قلبه دخول المأنوس به، و قلبه قبول المتبها له المطمئن إليه، لأنك وطأت له، و ذلك لا محالة أشد لثبوتة و أمنع للتردد فيه.

و جملة الأمر: أنه ليس إعلامك الشيء بفتة، مثل إعلامك له، بعد التنبيه عليه، و التقديم له؛ لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام، في التأكيد و الإحكام.

و يشهد لما ذكرنا، أنّ هذا الضرب من الكلام، يجيء فيما سبق فيه إنكار، كقوله جلّ و علا: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١) و ذلك لأن الكاذب لا سبّا في الدين، لا يعترف بأنه كاذب، فضلاً عن أن يعترف بالعلم بأنه كاذب.

الصورة الثانية: أن يكون المسند إليه واقعاً في حيّز النفي. و هذه الحالة تقتضي

تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي.

توضيح ذلك: أنك إذا قلت: «ما قلت هذا»، تكون قد نفيت عنك قولاً، لم يثبت أنه مقول، و إذا قلت: «ما أنا قلت هذا»، تكون قد نفيت عنك قائلية قول ثبت أنه مقول، فبنفيه عنك، أثبتته للغير. و بما هو مثال بين على أن تقديم المسند إليه يقتضي وجود الفعل، قول الشاعر:

وَمَا أَنَا أَشَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضَرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

المعنى - كما لا يخفى - على أن السقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له.

ويترتب على ما ذكر: أنه يصلح لك أن تقول: «ما قلت هذا، و لا قاله أحد من الناس»، و لا يصلح ذلك في الوجه الآخر، فلا يصح أن يقال: «ما أنا قلت هذا، و لا قاله أحد من الناس»؛ و ذلك لأن التقديم يفيد ثبوت القائلية للغير، فلا يصح نفيها عن كل أحد.

الحالة الثانية : في تقديم غير المسند إليه

و هو لا يفيد إلا التخصيص. و يتضح ذلك في جملة من الموارد.

١. موارد تقديم الخبر، كقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾^(١)، حيث أفاد التقديم: أن خمور الجنة مختصة بعدم الغول - وهي الحالة التي تعرض على الإنسان بعد شرب الخمر.
- و لأجل أن تقديم الخبر يفيد التخصيص، لم يقدم الخبر في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢)؛ لتلا يفيد التقديم ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى.
٢. موارد تقديم المفعول، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٣)، أي إن كنتم تخصونه بالعبادة.

و لأجل أن تقديم المفعول على الفعل يفيد الاختصاص امتنعت الجمل التالية:
 (أ) «زيداً ضربت وغيره». وذلك لأن اختصاص المضروبية بزيد، ينافي ضرب غيره.
 (ب) «ما زيداً ضربت و لا غيره». و ذلك لأن اختصاص عدم المضروبية بزيد، يقتضي ضرب غيره، لا عدم ضربه.

١. الصافات: ٤٧.

٢. البقرة: ٢.

٣. النحل: ١١٤.

ج) «ما زيدا ضربت و لكني أكرمته». و ذلك لأن التقديم يدل على أَنَّ المخاطب قد أخطأ في تعيين المفعول، و تعقيب الجملة الأولى بالإستدراك المذكور، يدل على أَنَّهُ مَحْطَأٌ في تعيين الفعل، فالصواب إذن أن تقول: «ما زيدا ضربت و لكن عمراً».

و بهذا يكون قد تمَّ ما أردنا بيانه من نكات التقديم.

و أما التأخير فإِنَّمَا يَصَارُ إِلَيْهِ فِيمَا إِذَا كَانَ هُوَ الْأَصْلُ، و لا مقتضى للعدول عنه إلى

التقديم، و قد مرَّ بعض أمثله فلا نطيل.



اسئلة و تمرينات

١. قارن بين الآيتين التاليتين و بين النكتة البلاغية في اختلاف المقدم و المؤخر فيهما: مع ملاحظة السياق الواقعتين فيه.
 - (أ) «و جاء من أقصا المدينة رجل يسعى»^(١).
 - (ب) «و جاء رجل من أقصا المدينة يسعى»^(٢).
٢. ما هي نكتة التقديم فيما يلي:
 - (أ) «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^(٣).
 - (ب) «و تَغْشَىٰ وَجوهَهُمُ النَّارُ»^(٤).
٣. ما الفرق بين قولك: «أزيداً ضربت» و قولك: «أضربت زيداً»؟

١. يس: ٢٠.

٢. القصص: ٢٠.

٣. الفاتحة: ٣.

٤. إبراهيم: ٥٠.

الباب الخامس

الإطلاق و التقييد



التقييد بالوصف

الصفة إن تلت النكرة فهي مخصصة، وإن تلت المعرفة فهي موضحة. و الأولى تأتي لغرض زيادة الفائدة؛ لأن الشيء كلما ازداد خصوصاً، ازداد فائدة، كما يظهر بالنظر إلى قولنا: «قال رجل»، و قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(١). و الثانية تأتي لأغراض متعددة، أكثرها يفهم من نفس الصفة؛ فلذا تعددت الأغراض بتعدد المعاني التي تدل عليها الصفات، فنقتصر على ذكر أهمها:

١. قصد المدح و الثناء: كقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢). و الحق أنها في هذا المثال و نحوه، ليست إلا لمجرد المدح و الثناء، و ليس ذكر الوصف هنا للتمييز؛ لأنه ليس له مثل - تعالى الله عن ذلك - حتى يميز عنه بالصفة.

٢. قصد الذم و التحقير، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ

١. غافر: ٢٨.

٢. الفاتحة: ١.

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ^(١).

٣. الكشف عن حقيقة الموصوف، و بيان معناه، كقول أوس بن حجر:

الْأَلْمِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ مَنْ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

فإنَّ الألمي معناه الذكي المتوقد، و الوصف بعده مما يكشف معناه و يوضحه.

٤. إفاة الترحم، و عليه ما ورد في الدعاء: «و أنا عبدك الذليل الحقير المسكين

المستكين».

و الأولى تأتي - أيضاً - لأعراض متعدة منها:

أ) قصد التأكيد، و عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾^(٢).

ب) تعيين المراد، و بيان المقصود، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ

يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾^(٣)، حيث وصف - ذابة و طائر - بما هو من خواص

الجنس، لبيان أن القصد منها إلى الجنس، دون الفرد.

التقييد بالعطف

فإن كان عطف بيان فهو كالنعت في مجيئه للإيضاح، و إزالة الإشتراك، كقولك: «جاء

صديقك خالد». و قد يستعمل في غير الإيضاح، كالمذح، كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ

الْكَفَبَةَ النَّبِيَّةَ الْخَرَامَ﴾^(٤).

و إن كان عطف نسق، فيأتي لأحد أمور نكتفي بذكر واحد منها، و هو أن يقصد

١. النحل: ٩٨.

٢. العنكبوت: ١٣.

٣. الأنعام: ٣٨.

٤. المائدة: ٩٧.

التفصيل مع اختصار، كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(١)، فإنّ كلاً من الموهوبين، لو لم يعطف أحدهما على الآخر؛ بأن ذكرا بلفظ يجمعهما، لحصل إجمال وإبهام، بخلاف ذكرهما بالعطف، فإنه فيه تفصيل لهما، وهو أخصر من أن يقال: «و وهبنا له اسحاق، و وهبنا له يعقوب» وإذا كان العطف - بالفاء أو بتم أو بحتى - كان التفصيل راجعاً إلى الفعل، فإذا قلت: «جاء زيد وعمرو» أفدت تفصيل الفعل، وأنه كان من عمرو بعد كونه من زيد بلا مهلة، ولو كان العطف بتم أفاد التفصيل المذكور مع التراخي، وهذا أخصر من قولك: «جاء زيد وعمرو بعده» فوراً أو مترخياً.

و أما حتى، فهي تفيد التدرج بين أجزاء ما قبلها؛ من الأضعف إلى الأقوى، أو العكس، كقولك: «قهرنا الجيش حتى الكفاة»، و «قدم الحجيج حتى المشاة»، ولا يخفى ما فيه من التفصيل.

إلى غير ذلك من المعاني، التي يأتي التعرض لبعضها في الأبواب اللاحقة.^(٢)

و أما التقييد بالمفعول، و البدل و التوكيد، و نحوها، فنعرض عن ذكرها لوضوح نكاتها، و قلتها، مضافاً إلى أنه تقدم ما يشير إلى بعضها.

و أما ترك التقييد بما ذكر، فلها من زيادة الفائدة، مثل: خوف انقضاء الفرصة، أو إرادة ألا يطلع الحاضرون على زمان الفعل، أو مكانه، أو مفعوله، أو صفة الشيء، أو لعدم العلم بالمقيدات، أو نحو ذلك مما هو واضح لكل من له ذوق سليم.

١. الأتمام: ٨٤

٢. المقصود منها بيان: القصر، والفصل، والوصل.

التقييد بالشرط

التقييد به يكون للأغراض التي تؤدها معاني أدوات الشرط، كالزمان في «متى، و أيمان»، و المكان في «أينما، و حيثما»، و الحال في «كيفما»، و غير ذلك مما هو مذكور في كتب النحو. إلا أنه لا بد من النظر هنا في «إن، و إذا»، لاختصاصها بمزايا تعدد من وجوه البلاغة، و عدم استيفاء البحث عنها في كتب النحو.

فاعلم أن «إن و إذا»: يشتركان في كونها للشرط في الإستقبال، و يفترقان في أن «إن» تستعمل في المحتمل المشكوك فيه؛ و لذا كثر وقوع الحكم النادر بعدها. بينما الأصل في «إذا» أن تستعمل فيما جزم بوقوعه؛ و لذا غلب لفظ الماضي معها؛ لما تقدم من أن التعبير عن المضارع بلفظ الماضي، يدل على تحقق الوقوع. و يظهر هذا الفرق بالتأمل في قوله تعالى: «فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ»^(١)، حيث جيء في جانب الحسنه بلفظ الماضي مع «إذا»؛ لأن المراد الحسنه المطلقة التي حصولها مقطوع به، و جيء في جانب السيئة بلفظ المضارع مع «إن»؛ لأن السيئة نادرة بالنسبة الى الحسنه المطلقة؛ إذ المراد بها نوع مخصوص، و هو الجذب.

لكن كثيراً ما يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بالنسبة لـ «إن و إذا» فتستعمل احدهما موقع الأخرى.

استعمال «إن» موقع «إذا»

و ذلك باستعمالها في مقام الجزم بوقوع الشرط، و لا بد له من نكات أهمها:

١. عدم جزم المخاطب بوقوع الشرط، فيجري الكلام على وفق اعتقاده، كقولك لمن

يشك في صدقك: «إن صدقت فإذا تفعل» مع علمك بأنك صادق.

٢. تنزيل المخاطب العالم بوقوع الشرط منزلة الجاهل؛ لمخالفته مقتضى علمه، كقولك لمن يؤذي أباه: «إن كان أباك فلا تؤذه».

و يجوز أن يكون من باب تنزيل المتكلم نفسه منزلة الجاهل؛ لإيهام أن الأذى الصادر من الولد لأبيه، لا يصدر إلا من الأجنبي؛ فلذا شكك نفسه في أنه أبوه.

٣. تغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به، كما إذا كان القيام قطعي الحصول لزيد، غير قطعي لعمره، فتقول «إن قمتا كان كذا». و عليه قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا»^(١)، فاستعمل «إن» مع تحقق الارتباب منهم؛ لأن الكل لم يكونوا مرتابين، بل فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً، فغلب غير المرتابين منهم على المرتابين؛ لأن صدور الارتباب من غير المرتابين مشكوك.

استعمال «إذا» موقع «إن»

و ذلك باستعمالها في المشكوك، و يكون لنكات، أهمها:

١. الإشعار بأن الشك في ذلك الشرط مما لا ينبغي أن يقع، كقولك لمن قال لا أدري، هل يتفضل عليّ الأمير بعطية؟ - : «إذا تفضل عليك كيف يكون شكرك؟»، إشعاراً أن الأمير لا ينبغي الشك في تفضله.

٢. عدم شك المخاطب بوقوع الشرط، فيجري الكلام على سنن اعتقاده، كقولك: «إذا لم تكن صادقاً فإذا تفعل؟».

إلى غير ذلك من النكات، التي تفهم من المقابلة.



اسئلة و تمرينات

١. أذكر ثلاثة أمثلة قرآنية على التقييد بالوصف و بين النكتة فيها.
٢. ما هي نكتة التقييد بالوصف في قوله تعالى: ﴿تلك عشرة كاملة﴾؟^(١)
٣. كيف خرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بالنسبة لـ «إن و إذا» فيما يلي؟

- (أ) ﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك﴾.^(٢)
- (ب) ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة﴾.^(٣)
- (ج) ﴿إذا جاء نصر الله و الفتح﴾.^(٤)
- (د) ﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾.^(٥)

١. البقرة: ١٧٦.

٢. آل عمران: ١٨٤.

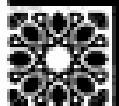
٣. الروم: ٣٦.

٤. النصر: ١.

٥. الحج: ٥.

الباب السادس

القصر



تعريف القصر

القصر لغة: الحبس، ومنه قوله تعالى: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ»^(١). و اصطلاحاً: «تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص». فالأول يسمى مقصوراً، والثاني مقصوراً عليه.

طرق القصر

للقصر طرق كثيرة، أهمها أربعة:

الطريق الأول: العطف بأدوات مخصوصة وهي: «لا، وبل، ولكن».

أما «لا» فيشترط فيها أن تسبق بكلام موجب، كقولك: «زيد شاعر لا كاتب». و

أما «بل، و لكن» فيشترط أن يتقدمها نفي، كقولك: «ما زيد شاعراً بل عمرو، و ما زيد

شاعراً لكن كاتب». و المقصور عليه في «لا» هو المذكور قبلها، المقابل لما بعدها، و في

«بل، و لكن» ما يذكر بعدها.

الطريق الثاني: النبي و الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(١). و المقصور عليه هو الواقع بعد أداة الاستثناء.

الطريق الثالث: «إنما»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢) و المقصور عليه معها واجب التأخير.

الطريق الرابع: تقديم ما حقه التأخير، كقوله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾^(٣) و قد تقدم البحث عنه في الباب الرابع. و المقصور عليه هنا هو المقدم.

تقسيمات القصر

للقصر تقسيمات ثلاثة: كل واحد منها باعتبار.

• التقسيم الأول: ينقسم القصر باعتبار الحقيقة و الواقع إلى قسمين:

أ) القصر الحقيقي: و هو «كل قصر يختص فيه المقصور بالمقصور عليه، و لا يتعداه إلى غيره أصلاً». نحو: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤). فالألوهية صفة مختصة به تعالى، و لا يتعداه إلى كل ما يصدق عليه أنه غير الله.

ب) القصر الإضافي: و هو «كل قصر يختص فيه المقصور بالمقصور عليه، بالإضافة و النسبة إلى شيء معين». نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٥). حيث قصر محمد ﷺ على كونه رسولاً، بالإضافة إلى شيء معين، و هو الخلود و عدم الموت.

• التقسيم الثاني: و هو تقسيمه باعتبار طرفيه إلى قسمين:

١. هود: ٨٨.

٢. فاطر: ٢٨.

٣. يونس: ٨٥.

٤. آل عمران: ٦٢.

٥. آل عمران: ١٤٤.

١. قصر الموصوف على الصفة. و هو «القصر الذي يختص فيه الموصوف بالصفة، ولا يتجاوزها إلى غيرها، ولا مانع من اتصاف غيره بها». مثاله في الحقيقي^(١)، قولك: «إنما الله جامع لجميع صفات الكمال». و مثاله في الإضافي، قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٢).

٢. قصر الصفة على الموصوف. و هو «القصر الذي تختص فيه الصفة بالموصوف، ولا تتجاوزها إلى غيره، ولا مانع من اتصافه بغيرها». مثاله في الحقيقي، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣). و مثاله في الإضافي، قولك: «زيد شاعر لا عمرو».

* التقسيم الثالث: و هو يختص بالقصر الإضافي، حيث قسم بلحاظ حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:

١. قصر الأفراد: و هو «القصر الذي يلقى لمخاطب، معتقد باشتراك موصوفين في صفة واحدة، أو باشتراك صفتين في عروضها على موصوف واحد».

٢. قصر القلب: و هو «القصر الذي يلقى لمخاطب، معتقد بعكس ما تنبته»

٣. قصر التعيين: و هو «القصر الذي يلقى لمخاطب متردد، طالب للتعين». و

أمثلتها: أنا سميت في حاجتك، و حجازي أنا.

١. ذكروا أنَّ قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي، لا يكاد يوجد، لعدم الإحاطة بصفات الشيء، حتى يمكن إثبات شيء منها ونقي ما عداها، بل ذهبوا إلى استحالة أيضاً؛ إذ إنَّ للصفة المنفية تقيضاً، و هو من الصفات التي لا يمكن نفيها؛ ضرورة امتناع ارتفاع التقيضين. مثلاً لو قلنا: «ما زيد إلا كاتب»، و أردنا أنه لا يتصف بغيره، للزم أن لا يتصف بالقيام، و لا بتقيضه و هو محال، فعليه إنما صحَّ المثال المذكور لخصوصية فيه.

٢. آل عمران: ٦٤٤.

٣. فاطر: ٢٨.

تنبيهات

الاول: المقصود بالصفة في التقسيم الثاني، الصفة المعنوية، التي تدل على معنى قائم في الشيء، سواء كان اللفظ الدال عليها، جامداً أم مشتقاً، وليس المراد بها النعت النحوي.

الثاني: يشترط في قصر الموصوف على الصفة إفراداً، عدم تنافي الوصفين؛ ليصح اعتقاد المخاطب باجتماعها في الموصوف، فالصفة المنفية في قولك: «ما زيد إلا قاعد» هي كونه نائماً ونحو ذلك، لا كونه قائماً.

الثالث: تعرض علماء البلاغة إلى طرق القصر، و تنسيبته، لكن الأكثر قد أغفل جانباً مهماً منه، وهو بيان قيمته البلاغية.

فاعلم أن القصر يعتبر ضرباً من ضروب الإيجاز، الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة؛ فإن جملة القصر في قوة جملتين، إذ قولك: «ما قائم إلا زيد»، في قوة قولك: «زيد قائم، وغيره ليس بقائم».

ولذا يعد القصر من أدوات التوكيد، وأشد طرقه توكيداً الطريق الثاني، فلذا كان الأصل فيه، أن يجيء لأمر ينكره المخاطب، كقولك لصاحبك و قد رأيت شبحاً من بعيد: «ما هو إلا زيد»، إذا اعتقد غيره مصراً على هذا الاعتقاد.

وقد يستعمل في المعلوم إذا نزل منزلة المنكر؛ لاعتبار مناسب، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(١)، حيث قصر محمد ﷺ على الرسالة، ونفى عنه صفة الخلود، والمخاطبون - وهم الصحابة - عالمون بذلك غير منكرين له، لكنهم لما كانوا يعدون موته أمراً عظيماً، نزل استعظامهم موته منزلة إنكارهم إياه، فاستعمل له النفي والاستثناء.

و أما «إنما» فلكونها أضعف من النفي و الاستثناء، كان الأصل فيها، أن تستعمل
لخبر لا يجهله المخاطب، و لا ينكر صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة.

أما الأول: فكما تقول: «إنما هو أخوك، و إنما هو صاحبك القديم»، لا تقوله لمن يجهل
ذلك و يدفع صحته، و لكن لمن يعلمه و يقربه، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه،
من حق الأخوة، و حرمة الصحبة، و مناله من التنزيل قوله تعالى:
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾^(١)، فهذا يكون له تأثير، إذا كان مع
من يؤمن بالله و يخشاه، و أما الكافر الجاهل، فالإنذار و تركه معه سيان.

و أما الثاني: فكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٢) حيث ادعوا أن كونهم
مصلحين أمر ظاهر من شأنه ألا يجهله المخاطب و لا ينكره، و لذلك جاء الجواب: ﴿أَلَا
إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾^(٣) للرد عليهم مؤكدا بما ترى.

و إذا استقرت مواضع استعمالها، وجدتها أقوى ما تكون، و أعلق ما ترى بالقلب،
إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، و لكن التعريض بأمر هو مقتضاه، مثلاً: ليس
الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٤) أن يعلم السامعون ظاهر معناه،
بل أن يذم الكفار، و أن يقال إنهم من فرط العناد، و غلبة الهوى عليهم، في حكم من
ليس بذئ عقل، قطع التذکر منهم، كقطعهم من غير أولي الألباب.

١. يونس: ١١.

٢. البقرة: ١١.

٣. البقرة: ١٢.

٤. الزمر: ٩.



اسئلة و تمرينات

* تأمل الأمثلة التالية ثم أجب على ما يأتي بعدها من أسئلة:

(أ) ﴿فإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (١).

(ب) ﴿وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٢).

(ج) ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ (٣).

(د) ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ﴾ (٤).

(هـ) ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ﴾ (٥).

(و) ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٦).

(ز) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ (٧).

(ح) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٨).

١. ميّز بين القصر الحقيقي و الإضافي.

٢. ميّز بين قصر الموصوف على الصفة و قصر الصفة على الموصوف.

١. الرعد: ٤٠.

٢. فاطر: ٢٢-٢٣.

٣. الأنعام: ٣٦.

٤. الأحزاب: ٤٠.

٥. القاتحة: ٥.

٦. آل عمران: ٦٢.

٧. الأعراف: ٣٣.

٨. فاطر: ٢٨.

٣. ميّز بين قصر القلب و الإفراد و التعيين.

٤. حوّل كلّاً من قصر الموصوف على الصفة، و قصر الصفة على الموصوف

إلى مقابله.

٥. أي الجملتين التاليتين أبلغ في مدح زيد؟ وضح السبب:

(أ) إنّما يجيد الخطابة زيد.

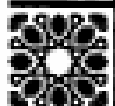
(ب) إنّما زيد يجيد الخطابة.

٦. هل تستطيع أن تجعل جملة (الصديق وقت الضيق) تفيد القصر،

مستخدماً جميع طرقه.

الباب السابع

الفصل و الوصل



تمهيد

يعتبر هذا الباب، من أهم أبواب علم المعاني؛ لكونه سرّاً من أسرار البلاغة، الذي لا يأتي لتمام الصواب فيه، إلا الخالص من العرب، الذين طبعوا على البلاغة، و أوتوا حظاً من المعرفة في ذوق الكلام، و هم بذلك أفراد. و قد بلغ من قوة الأمر في ذلك، أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم^(١)، أنه سئل عنها، فقال: «معرفة الفصل و الوصل». و ما ذلك إلا لغموضه، و دقّة مسلكه، و كثرة دورانه في الكلام؛ حيث إن كل كلام مركب من جملتين، محتاج في بلاغته إلى معرفة مسائل هذا الباب، و أنه لا يكفل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر أبواب البلاغة.

تعريف الفصل و الوصل

الوصل هو العطف، و الفصل تركه. و الكلام المهم إنما هو في الفصل و الوصل الواقعين بين الجمل. أما عطف المفرد، ففائدته واضحة، و هي تحصيل مشاركة الثاني للأول في الحكم الإعرابي، ليعلم أنه مثل الأول في فاعليته، أو مفعوليته، أو نحو ذلك.

١. نسب ذلك لأبي علي الفارسي.

مواضع الفصل

الموضع الأول: أن يكون للأولى حكم، لم يقصد إعطاؤه للثانية، و الحكم الثابت

للجملة الأولى الذي لم يقصد إعطاؤه للثانية، على ضربين:

(أ) الحكم الإعرابي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شياطينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا

نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(١)، لم يعطف جملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على

جملة ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لأن الأولى حكماً إعرابياً، و هو كونها مفعول القول، فلو عطف الثانية

عليها للزم تشريكها في هذا الحكم الإعرابي، فتكون من مقول قول المناققين، مع أنها

ليست كذلك، فترك العطف لقصد عدم التشريك.

(ب) القيد الزائد على مدلول الجملة، كالاختصاص و نحوه، في المثال السابق، لم

يعطف ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على ﴿قَالُوا﴾، لثلا يشاركه في الاختصاص بالظرف.

توضيح ذلك: أن جملة (قالوا) مقيدة بظرف؛ أعني (إذا)، و تقديم الظرف يفيد

الاختصاص كما مر، فالمعنى - حينئذ - أنهم يقولون: إنا معكم في وقت خلوتهم إلى

شياطينهم، لا في وقت وجود المؤمنين، فلو عطف الجملة الثانية عليها، للزم أن يكون

استهزاء الله بهم ثابتاً في ذلك الظرف فقط؛ لإفادة العطف تشريك الجملتين في

الاختصاص به، مع أن المراد أن استهزاء الله ثابت و مستمر، كما هو مقتضى التعبير

بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت و الاستمرار.

الموضع الثاني: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع؛ بأن تختلف الجملتان

اختلافاً تاماً، فيترك العطف؛ لاقتضائه التناسب بين المعطوف و المعطوف عليه، و يتحقق

ذلك في ثلاثة موارد:

(أ) أن تختلف الجملتان، خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى؛ بأن تكون إحداها خبراً، لفظاً ومعنى، والأخرى إنشاءً لفظاً ومعنى، كقول الأخطل:

وَقَالَ زَائِدُهُمْ أَرْسَوْا نَزَاوِلَهَا فَكُلُّ حَتْفٍ امْرِيٍّ يَجْبِرِي بِمِقْدَارِ^(١)

حيث لم يعطف - نزاوها - على - أرسوا - لأنه خبر لفظاً ومعنى، وأرسوا - إنشاءً كذلك.

(ب) أن تختلفا خبراً وإنشاءً، معنى فقط، بأن تكون إحداها خبراً معنى، والأخرى إنشاءً

كذلك، وإن كانتا من حيث اللفظ إنشائيتين، أو خبريتين، نحو: «مات فلان، رحمه الله».

(ج) أن لا يكون بينها مناسبة وارتباط، وإن اتحدتا في الخبرية والإنشائية، فلا

يقال: «زيد قائم و العلم نافع»، ولهذا عيب على أبي تمام قوله:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

وذلك؛ لأنه لا مناسبة ظاهرة بين كرم أبي الحسين، و مرارة النوى، و لا تعلق

لأحدهما بالآخر، و لا يقتضي الحديث هذا، الحديث بذاك.

الموضع الثالث: أن يكون بين الجملتين كمال الاتصال؛ بأن تتحد الجملتان اتحاداً

تاماً، فيترك العطف؛ لاختصاصه شيئاً من التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه. و يتحقق

ذلك في موردين:

(أ) أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى، و مقررّة للمعنى المفهوم منها، فيترك العطف

كما يترك في المفرد، و عليه قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ

يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا^(٢)، لم يعطف الجملة الأخيرة على ما قبلها؛ لأن المقصود من

١. الرائد: هو الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلاء - أرسوا: أقيموا - نزاوها: نحاول تلك الحرب و نجريها.

٢. لقمان: ٧.

التشبيه بمن في أذنيه وقر، هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، إلا أن الثاني أبلغ و أكد في الذي أريد.

ب) أن تكون الجملة الثانية مبينة و موضحة لما يراد من الأولى، كما توضح الصفة الموصوف و تبينه، و من هذا المورد قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ﴾^(١)، حيث فصل جملة (قال يا آدم ...) عما قبلها؛ لكونها تفسيراً و تبيناً لها.

الموضع الرابع: أن يكون بين الجملتين شبه كمال الانقطاع؛ بأن تسبق جملة بجملتين، يصح عطفها على إحداها دون الأخرى، فيترك العطف، لئلا يتوهم أنها معطوفة على غير ما يصح عطفها عليه. و يسمى الفصل لذلك «قطعاً». و مما ورد من هذا القبيل قوله:

وَ تَظُنُّ سَلَمَى أَنِّي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمٍ

فإن بين - أراها و تظن - مناسبة ظاهرة، لكن ترك العطف، لئلا يتوهم أن جملة أراها معطوفة على جملة أبغي، فتكون الجملة الأخيرة من مطنونات سلمى، مع أن ذلك ليس بمراد.

الموضع الخامس: أن يكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال؛ بأن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الجملة الأولى، فتنزل الأولى منزلة السؤال؛ لإشعارها به، فتفصل الثانية عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال المحقق. و يسمى الفصل لذلك «استئنافاً»، كما تسمى الجملة الثانية «مستأنفة».

هذا، و الاستثناف على ثلاثة أضرب:

أ) أن يكون السؤال الذي اقتضته الجملة الأول سؤالاً عن سبب الحكم العام، كقوله:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَ حُزْنٌ طَوِيلٌ

كأن المخاطب لما سمع أنه عليل، قال: «ما سبب علتك؟» فأجابه: «سهر دائم و

حزن طويل».

ب) أن يكون السؤال عن السبب الخاص للحكم، نحو: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ

نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١)، فكانه قيل: «هل أن السبب في عدم التبرئة، لأن

النفس أمارة بالسوء؟» فأجيب: «إن النفس لأمارة بالسوء»، و الشاهد على كون السؤال،

عن السبب الخاص، هو التأكيد؛ فإن السؤال عن مطلق السبب لا يؤكد، و من ثم يتضح

أن هذا الضرب من الإستثناف، يستحسن فيه توكيد الحكم في الجملة المستأنفة؛ لما مرَّ

في أضرب الخبر، من استحسان توكيد الإسناد الطلبي.

ج) أن يكون السؤال عن غيرهما، كقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ﴾^(٢)، كأنه

قيل: «فماذا قال إبراهيم في جواب سلامهم؟» فقيل: «قال سلام»؛ أي حياتهم بتحية

أحسن؛ لكونها بالجملة الإسمية الدالة على الدوام و الاستمرار.

مواضع الوصل

الموضع الاول: أن يكون للجملة الأولى حكم، قصد تشريك الثانية معها فيه، كما

في قوله تعالى: ﴿وَ اللَّهُ يَتَّبِعُ وَ يَبْسُطُ﴾^(٣)، و ذلك لأن الجملة لا يكون لها محل من

١. يوسف: ٥٣.

٢. الذاريات: ٢٥.

٣. البقرة: ٢٤٥.

الاعراب، حتى تكون واقعة موقع المفرد، و إذا كانت كذلك، كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد، و تكفي فيه المناسبة بين المعطوف، و المعطوف عليه.

الموضع الثاني: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام، كقولك: «لا و أيدك الله» فإن قولك «لا» ردّ للكلام سابق، كما لو قيل: «هل الأمر كذلك؟» فقيل: «لا»، أي ليس الأمر كذلك. فهذه جملة خبرية، و الجملة التي بعدها، إنشائية، فكان بينها كمال الانقطاع، لكن عطف الثانية على الأولى، لأن ترك العطف يوهم خلاف المراد، و هو الدعاء على المخاطب، مع أن المقصود الدعاء له.

الموضع الثالث: أن يكون بين الجملتين ما يسمى بالتوسط بين الكمالين؛ بأن تتفق الجملتان في الخبرية أو الإنشائية، لفظاً و معنى، أو معنى فقط. و اليك بعض الأمثلة على ذلك.

أ) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأُبْرَارَ لَبِئْسَ مَا جَعَلْنَا لَهُمْ جَنَّةً لَدُنْهُمْ لَا فِيهَا قُحُوفُ الْعُجْبِ فَاتِرَةٌ﴾^(١)، مثال للخبريتين، لفظاً و معنى.

ب) قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٢)، مثال للإنشائيتين، لفظاً و معنى.

ج) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣)، مثال للمختلفتين.

تنبيهان

الأول: أشرنا فيما سبق إلى أن المصحح للعطف في بعض المواضع، وجود مناسبة و ارتباط بين الجملتين، و هذه المناسبة على نحوين:

١. الانقطاع: ١٣ - ١٤.

٢. الأعراف: ٣٦.

٣. البقرة: ٨٣.

١. المناسبة الحقيقية. و تتحقق في موارد:

(أ) أن يكون هناك اتحاد بين الجملتين في أحد طرفيها، نحو: «زيد يقوم و يقعد»،
فإنها متحدان في المسند إليه.

(ب) أن يكون هناك تماثل بينها كذلك. و المراد به هاهنا: الاشتراك في وصف له نوع
اختصاص، نحو: «زيد كاتب، و عمرو شاعر»، فيما لو كان زيد و عمرو مشتركين في
الصدقة أو الأخوة، أو نحو ذلك، لا في الإنسانية وحدها.

(ج) أن يكون هناك تضافف بينها، كما في قولك: «العلة متقدمة، و المعلول متأخر».

(د) أن يكون هناك تضاد بينها، كما في قولك: «بياض البازي جميل، و سواد الغراب قبيح».

٢. المناسبة الخيالية، فإنه لا يكون - في بعض الأحيان - تقارن حقيقي بين الشئين

في الذهن، لكن الخيال ينزلها منزلة المتقارنين. و أسباب هذا التقارن، تختلف باختلاف

الأشخاص، و الأغراض، و الأزمنة، و الأمكنة، و ذلك لأن منشأ تلك الأسباب المخالطة

و الألفة، و هي قد تتحقق عند شخص، و لا تتحقق عند آخر، فرب صورتين تتقارنان

في ذهن شخص و لا تخطران على ذهن آخر^(١)، و لذا كان الالتفات إلى هذا النحو من

التناسب متعذراً إلا على من أوتي حظاً وافراً من الذوق الأدبي، و إلا فالفاصر عن ذلك،

قد يعجب من الجمع بين الإبل، و السماء، و الجبال، و الأرض، في قوله تعالى: «أَفَلَا

يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ

١. كما حكى أن سلاحياً و صانئاً و بقاراً و مؤدب أطفال سافروا ذات يوم، و وصلوا سير النهار بسير الليل فبينما هم
في وحشة الظلام، و مقاساة خوف التخبط و الضلال، طلع عليهم البدر بنوره فأفاض كل منهم في الثناء عليه، و
شبهه بأفضل ما في خزنة صوره، فشبهه السلاحى بالترس المذهب، و الصانع بالسيكة من الإبريز، و البقار
بالجين الأبيض يخرج من قلبه طرياً، و المعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذي مروءة.

﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾^(١)، لكن المتدرب على فنون المقال، العالم بأساليب الكلام، يعرف أن هذه مما تتجمع في مخيلة المخاطب، وهم أهل البوادي، فإن جبل انتفاعهم في معاشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروقة إليها، و انتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى و تشرب، و ذلك بنزول المطر، فيكثر تقلب وجوههم في السماء ثم لا بد من مأوى و حصن يتحصنون به، و لا شيء لهم في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم - لتعذر طول مكثهم في منزل - عن التنقل من أرض إلى سواها. فإذا فتش البدوي في خياله، وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور، بخلاف غيره، فإنه إذا تلا الآية - قبل الوقوف على ما ذكرنا - ظن النسق - لجهله - معيباً.

الثاني: من محسنات الوصل، بعد وجود المصحح، تناسب الجملتين، في الاسمية أو

الفعلية، و تناسب الفعليتين، في المضي أو المضارعة. و لا يحسن العدول عن ذلك إلا لنكتة:

١. كأن يراد بإحداها الثبوت، و بالأخرى التجدد، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا

بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّاعِبِينَ﴾^(٢)؛ لأنهم كانوا يزعمون أن اللعب حالة مستمرة له ﷺ، فاستفهموا عن تجدد مجيئه لهم بالحق.

٢. أن يراد بإحداها حكاية الحال الماضية، و بالأخرى استحضار الصورة العجيبة

في الذهن، كقوله تعالى: ﴿فَقَرِيحًا كَذَّبْتُمْ وَ قَرِيحًا تَقْتُلُونَ﴾^(٣).

١. الفاشية: ١٧ - ٢٠.

٢. الأنبياء: ٥٥.

٣. البقرة: ٨٧.



اسئلة و تمرينات

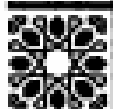
١. بين سبب الفصل و الوصل فيما يلي:
 - (أ) ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾^(١).
 - (ب) ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾^(٢).
 - (ج) ﴿و لا تستوى الحسنة و لا السيئة إدفع بالتي هي أحسن﴾^(٣).
 - (د) ﴿إن فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين﴾^(٤).
 - (هـ) ﴿و ضرب لنا مثلاً و نسي خلقه قال من يحيى العظام و هي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة و هو بكل خلق عليم﴾^(٥).
 - (و) ﴿و ما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٦).
 - (ز) ﴿أولئك الذين كفروا بربهم و أولئك الأغلال في أعناقهم و أولئك اصحاب النار هم فيها خالدين﴾^(٧).
 - (ح) ﴿و من يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب﴾^(٨).
 - (ط) ﴿أمذكّم بما تعلمون * أمذكّم بأنعام و بنين و جنات و عيون﴾^(٩).
٢. اقرأ سورة البقرة من الآية: ٦ إلى الآية ١٦، ثم بيّن أسباب الفصل و الوصل الواقعة فيها.

١. يوسف: ٣١.	٢. التوبة: ١١٩.
٣. فصلت: ٣٤.	٤. القصص: ٤.
٥. يس: ٧٨.	٦. النجم: ٣ - ٤.
٧. الرعد: ٥.	٨. الفرقان: ٦٨ - ٦٩.
٩. الشعراء: ١٣٢ - ١٣٤.	

الباب الثامن

المساواة و الإيجاز

و الإطناب



تمهيد

يعتبر هذا الباب - كسابقه - من أهم ما يبحث عنه في علم البلاغة؛ لشدة الحاجة إليه. والأخيران أكثر خفاء، و اللطف مذاقاً، و أحسن نكاتاً، حتى قال بعضهم: «البلاغة هي الإيجاز و الإطناب»: أنشد الجاحظ في وصف البلغاء:

يُرْمُونَ بِالْحُطْبِ الطَّوَالِ وَ تَارَةً وَحِي الْمَلَأِحِطِ خَيْفَةَ الرُّقَبَاءِ

هذا، و الكلام لا يخلو من واحد من هذه الأمور الثلاثة؛ و ذلك لأنَّ التعبير عن المعاني الكامنة في النفس، إما أن يكون بواسطة ألفاظ مساوية لتلك المعاني، من غير زيادة و لا نقصان، و إما بواسطة ألفاظ أنقص، و إما بواسطة ألفاظ أزيد. فيقع الكلام في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المساواة

المساواة في الاصطلاح عبارة عن: «تأدية المعنى المراد بألفاظ مساوية له». و هي الأصل المقيس عليه الكلام بالنسبة لأخوها، و إنما تدخل في البلاغة، إذا اقتضاه المقام،

و يكثر استعمالها مع مخاطب عادي؛ لا لبيب و لا غبي.

و من أمثلة ذلك في القرآن، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(١).

فإذا تأملت هذا المثال وجدت الألفاظ فيه بقدر المعاني، و المعاني بقدر الألفاظ. و لو أردت إسقاط كلمة، لاختل المعنى، أو أردت زيادة لفظ، لما كان في الزيادة أية فائدة، بمعنى أنه لا يكون له دخل في تأدية أصل المعنى المراد.

الفصل الثاني: الإيجاز

الإيجاز في اللغة عبارة عن «التقصير»، و في الاصطلاح عبارة عن: «تأدية المعنى المراد بالألفاظ ناقصة عنه، وافية به».

فلو كانت الألفاظ أقل من المعاني، لكنها غير وافية بتأدية المراد، لم يكن الاختصار إيجازاً، بل إخلالاً، و هو مضرٌ ببلاغة الكلام، كما في قول الحارث الشكري:

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِ التُّوكِ يَمُنُّ عَاشٍ كَدًّا

فإن المراد أن العيش الناعم الرغيد، في ظلال الحمق، خير من العيش الشاق، في ظلال العقل، و لكن ألفاظه لا تدل على هذا المعنى، إلا بعد التأمل و إمعان النظر في ظاهر الكلام، و أنه لا يصح؛ لاقتضائه أفضلية العيش المتعب في ظلال الجهل، على العيش المتعب في ظلال العقل؛ لاستوائها بالنكد، فيصح الكلام بالتقدير المذكور.

هذا، و الإيجاز على ضربين:

الضرب الأول: إيجاز الحذف. و يكون بحذف شيء من الكلام، مدلول عليه بقرينة لفظية أو معنوية، و المحذوف قد يكون:

- (أ) جزء جملة، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(١)، أي: كل سفينة سليمة، بدليل: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، حيث دل أن الملك كان لا يأخذ المعيبة.
- (ب) جملة، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾^(٢)، أي: فامتلتتم فتاب عليكم.
- (ج) أكثر من جملة، كما في قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِثَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ﴾^(٣)، أي: فأرسلوني إلى يوسف، لأستعبره الرؤيا فأرسلوه إليه، فاتاه و قال له: «يا يوسف».

و قد تقدم الكلام عن هذا الضرب مفصلاً في باب الحذف.

الضرب الثاني: إيجاز القصر، و يكون بتضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف. و بهذا الضرب تفاوت البلغاء، و تفاضل الفصحاء.

و من أطف أمثله قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(٤) إذ معناه كثير، و لفظه يسير، لأن معناه: أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتِلَ قُتِلَ، كان ذلك داعياً إلى أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص، كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم.

١. الكهف: ٧٩.

٢. يوسف: ١١-١٥.

٣. البقرة: ١٩٤.

٤. البقرة: ١٧٩.

و قد فضّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى، و هو قولهم:
«القتل أنى للقتل» بوجوه أهمها:

١. أطراد الآية، و عدم أطراد مقولتهم، إذ القصاص مطلقاً سبب للحياة، بخلاف القتل، فإنه قد يكون أنى للقتل، كالذي على وجه القصاص، و قد يكون أدعى له، كالذي على وجه الظلم.

٢. الطباع أميل إلى لفظ القصاص، من لفظ القتل، لإشعار الأول بالمساواة و العدالة، دون الثاني.

٣. ما يفيد توكيد كلمة الحياة من التعظيم، فيكون المعنى: أن لكم في هذا الحكم، الذي هو القصاص، حياة عظيمة، و ذلك أنهم - قبل تشريع القصاص بالشروط و القيود المذكورة في محلها - كانوا يقتلون بالواحد الجماعة، و بالقتول غير قاتله، فتقع فتنة عظيمة، فكان في القصاص حياة أي حياة.

هذا، و لا نسبة بين كلام الخالق عزّوجلّ، و كلام المخلوق، فكيف يفاضل كلام المعجز بكلام العاجز:

وَ مَاذَا يَقُولُ الْقَائِلُونَ إِذَا بَدَأَ جَمَالُ خِطَابٍ فَأَقَّ فَهَمَ الْخَلَائِقِ

و من أمثلة هذا الضرب في غير القرآن الكريم، ما جاء على لسان سيد البلغاء و المتكلمين ﷺ: «تَحَقَّقُوا تَلَحُّقُوا»^(١)، التي قال عنها الشريف الرضي ﷺ: «ما سمع كلام أقل منه مسموعاً، و لا أكثر منه محصولاً، و ما أبعد غورها من كلمة و أنتع نطقها من حكمة و قد نبهنا في كتاب المنصائص على عظم قدرها، و شرف جوهرها». و مراده ﷺ

من هذه الكلمة الوجيزة: أن من يريد اللحاق بأصحاب الأعمال الصالحة، عليه أن يتخفف من أفعال الشهوات، و تحصيل اللذات، فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار. فدلّ على هذا المعنى الكثير بالفاظ قليلة.

الفصل الثالث: الإطناب

الإطناب لغة «المبالغة و الزيادة». و اصطلاحاً عبارة عن: «تأدية المعنى المراد بالفاظ زائدة عليه لفائدة». فإن لم تكن الزيادة لفائدة كان (حشواً) أو (تطويلاً).

أما التطويل فهي: الزيادة - غير المتعيّنة - على أصل المراد. كقول الحطيئة:

هَلَّا التَّمَشُّبِ لَنَا إِنْ كُنْتِ صَادِقَةً مَا لَأَ نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشَبًا

فالمال و النشب بمعنى واحد، فلا يحصى عن كون أحدهما زائداً^(١).

و أما الحشو، فهي: الزيادة المتعيّنة - على أصل المراد. و هو ضربان:

أ) أن تكون مفسدة للمعنى، كما في قول أبي الطيب:

و لا فضلَ فيها للشجاعةِ و الندى و صبرِ الفتي لو لا لقاء شُعوب

فإن لفظ (الندى) فيه حشو يفسد المراد، و هو تهوين أمر المنية، بما تظهره من فضل

المكارم التي يكمل بها الانسان، فيقول: إنه لا فضل في الدنيا للشجاعة، و الصبر، و الندى

لولا الموت. و هذا الحكم صحيح في الشجاعة و الصبر، دون الندى؛ لأنّ فضيلة الشجاعة -

مثلاً - إنما ظهرت لما فيها من الاقدام على الموت، المكروه للنفس، و لو كان الانسان يعلم

أنه يخلد لما كان لشجاعته فضل، بخلاف الباذل ماله، فإنه إذا علم أنه يموت، هان عليه

بذله، و لهذا يقول إذا عوتب فيه: «كيف لا أبذل ما لا أبقى له؟» و عليه قول مهبّار:

١. هذا ما ذكره، لكن للمناقشة فيه مجال واسع، فتأمل.

فَكُلْ إِنْ أَكَلْتَ وَ أَطْعِمْ أَخَاكَ فَلَا الرُّأْدُ يَبِئْتِي وَ لَا الْآكِلُ
 أما لو تيقن الخلود، ثم جاد بماله، كان جوده أفضل، فظهر أن الشجاعة لولا الموت لم
 تحمد و الندى بالعكس.

(ب) أن لا تكون مفسدة، كما في قول الشاعر:

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَ الْوَصْبُ^(١)

فإن لفظ (الرأس) فيه حشو لا فائدة فيه؛ لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس، و
 ليس بمفسد للمعنى.

و ليس من المحشو قولك: «أبصرته بعيني، و سمعته بأذني»، في مقام يفتقر إلى التأكيد.

محصلات الإطناب

يحصل الإطناب بأمر عدة، أهمها:

١. الإيضاح بعد الإبهام. و فائدته تقرير المعنى في النفس، بذكره مرتين؛ مرة على
 نحو الإجمال، و أخرى على نحو التفصيل. و ذلك كقوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ *
 أَمَدَّكُمْ بِأَنْتِقَامٍ وَ بَيْنِينَ﴾^(٢).

و من الإيضاح بعد الإبهام نوع يسمى (توشيحاً)، و هو: أن يؤتى في الكلام بمثنى أو
 جمع، و يفسر المثنى باسمين، أحدهما معطوف على الآخر، و الجمع بثلاثة كذلك. نحو:
 «منهومان لا يشبعان: طالب علم، و طالب دنيا»^(٣)، و نحو: «الناس ثلاث: فعالم
 رباني، و متعلم على سبيل شجاة، و هَمَجٌ رعاع»^(٤).

١. الوصبة: المرض.

٢. الشعراء: ١٣٢-١٣٣.

٣. نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٧.

٤. المصدر السابق، الحكمة ١٤٧.

٢. ذكر الخاص بعد العام و عكسه. و فائدتها التنبية على فضل الخاص، و التنويه بشأنه، حتى كأنه ليس من جنس العام. فالأول كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(١). و الثاني كقوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾^(٢).
٣. التكرير بذكر الشيء مرتين أو أكثر. و يأتي لأغراض، أهمها:
 - أ) التأكيد و التقرير، نحو: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).
 - ب) خوف تناسي الأول، الموجب لزوال الترابط من الكلام، بسبب طول الفصل، نحو: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٤).
 - ج) قصد التعظيم و التهويل، نحو: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٥).
٤. الإيغال، و هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها. كزيادة المبالغة في قول الخنساء:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّهُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمُ فِي رَأْسِهِ نَارًا

فقولها: «كأنه علم» واف بالمقصود، أعني: التشبيه بما يهتدى به، إلا أن في قولها: «في رأسه نار» زيادة مبالغة، و كزيادة الحث على المطلوب، و الترغيب فيه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٦) فقوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ مما يتم المعنى بدونها؛ لأن الرسول مهتد لا محالة، إلا أن فيه زيادة حث على الأتباع، و ترغيب في الرسل.

١. البقرة: ٢٣٨.

٢. الأنعام: ١٦٢.

٣. التكاثر: ٤-٣.

٤. يوسف: ٤.

٥. الحاقة: ١-٢.

٦. يونس: ٢٠-٢١.

٥. التذييل. و هو تعقيب جملة بأخرى مشتملة على معناها؛ لغرض التقوي و

التأكيد. وله تقسيان:

الأول: إما أن يجري مجرى المثل؛ لاستقلاله بنفسه. بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عما قبله. جار مجرى الامثال. في الاستقلال. و فشوَ الاستعمال. كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

و إما أن لا يجري مجرى المثل؛ لعدم استقلاله في إفادة المراد. بل يتوقف على ما قبله.

كقول النابغة الذبياني:

لَمْ يُبَيِّحِ جُودَكَ لِي شَيْئًا أَوْ مَلَّةً تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلا أَمَلٍ

فالشطر الثاني مؤكد للأول. و ليس مستقلاً عنه. فلم يجر مجرى المثل.

الثاني: إما أن تكون الجملة الثانية مؤكدة لمنطوق الأولى. كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ

جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

و إما أن تكون مؤكدة لمفهومها. كما في قول النابغة الذبياني:

وَ لَسْتُ بِمُسْبِقِي أَخًا لَأَتَلُمُهُ عَلَيَّ شَعْبٌ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْدَبِ

فالجملة الأولى دلت بمفهومها على نبي الكامل من الرجال. فأكد هذا المفهوم بقوله:

«أي الرجال المهذب». و ذلك لأن معنى الجملة الأولى: أنك إذا لم تضم أخاك إليك في

حال عيبه. و تتغافل عن زلته. فلن يبق لك أخ يعاشرك. و لا صديق يشاطرك. ففهم

من ذلك عدم وجود من هو كامل الأخلاق في الناس. فأكد ذلك بالاستفهام الانكاري.

٦. الاحتراس و يسمى تكيلاً أيضاً. و هو أن يؤتى في كلام يوهم بخلاف المقصود بما

١. سيأ: ١٧.

٢. سيأ: ١٧.

يدفعه، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْطِئَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، فقوله ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ احتراس بين أن من عدل سليمان ﷺ و فضله، و فضل جنوده، أنهم لا يحطمون غلة إلا بالأشعر و أياها. و قد قيل: إنما كان تسم سليمان ﷺ سروراً بهذه الكلمة منها. إلى غير ذلك من أسباب الإطناب، التي لم يطلق على بعضها اسماً معيناً.

خاتمة

قد يوصف الكلام بالإيجاز و الإطناب، باعتبار كثرة حروفه و قلتها، بالنسبة إلى كلام آخر. مساو له في أصل المعنى، و إن كان في حد ذاته مساواة. و ذلك كقول الشهاخ:

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِحْيَتُهُ
تَلَقَّاهَا عُرَابَةٌ بِأَيْمَنِ^(٢)

فإنه مساواة في نفسه، إيجاز بالنسبة لقول بشر بن أبي حازم:

إِذَا مَا الْمَكْرُمَاتِ رُفِعْنَ يَوْمًا وَ قَصَرَ
وَ ضَاقَتْ أذْرُعُ الْمُثْرَيْنِ عَنْهَا سَمًا
مُتَبَتِّغُوهَا عَنْ مَدَاهَا
أَوْسُ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

و يقرب من هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) بالنسبة إلى قول الشاعر:

أما ترى البحر تطفو فوقه جيف
و تستقر في أعماقه الدرر

فالآية إيجاز بالنسبة إلى البيت، و إن كان كلام الله أجل و أعلى، كيف، و الله أعلم.^(٤)

١. التل: ١٨.

٢. هكذا في الإيضاح. والظاهر أنه باليمين، ليستقيم الوزن.

٣. الرعد: ١٧.

٤. و من هذا الباب أيضاً قوله تعالى: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ مع قولهم: «القتل أنفى للقتل».



اسئلة و تمرينات

* تأمل الأمثلة التالية، ثم أجب على ما يأتي بعدها من أسئلة:

- (أ) ﴿حَزَمْتَ عَلَيَّكَ الْمَيْتَةَ﴾^(١).
- (ب) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٢).
- (ج) ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾^(٣).
- (د) ﴿فَقَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾^(٤).
- (هـ) ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ * أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٥).
- (و) ﴿وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بِيَدَيْهِ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلًى وَهَنَ وَفِصَالَهُ فِي عَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٦).
- (ز) ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٧).
- (ح) الناس اثنان: واحد أراح و آخر استراح^(٨).
- (ط) فسق ديارك غير مُفِيدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَ دَيْمَةٌ تَهْمِي^(٩)

١. المائدة: ٣.

٢. الإنططار: ١٧-١٨.

٣. النحل: ١٢.

٤. البقرة: ٧٣.

٥. الرعد: ٢٨.

٦. لقمان: ١٣.

٧. آل عمران: ١٨٤.

٨. الخصال: ب ٢، ح ٢١.

٩. البيت لطفرة بن العبد، و الصوب: المطر النازل، و الديمة: المطر المترسل، و تهمي: تسيل.

١. ميّز بين الإيجاز و الإطناب في الأمثلة المتقدمة.

٢. ميّز بين إيجاز الحذف و إيجاز القصر في أمثله.

٣. ما هو محصل الإطناب في أمثله؟

٤. أذكر مثالين يفيدان معنى واحداً، بحيث يكون أحدهما إيجازاً بالنسبة


للآخر.

٥. هات آيتين قرآنتين تفيدان معنى البيتين التاليين مع كونها إيجازاً

بالنسبة إليهما:

أ) كَلَّ ابْنِ انثَى و إِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حُدَّ بَاءَ مَحْمُولٌ

ب) وَ تُنَكِّرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَ لَا يَنْكُرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ



الفنّ الثاني

علم البيان



تمهيد في بيان أمور

١. تعريف علم البيان

البيان في اللغة: الظهور والوضوح والكشف. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١) أي

توضيحه و تفهيمه.

و أما في الاصطلاح: فالذي يظهر للمتبع لكلمات القوم، أن إطلاق كلمة «البيان» على الأبواب المخصوصة، في قبال المعاني و البديع، لم يكن معروفاً قبل السكاكي، بل المعروف عندهم إطلاقها على البلاغة الشاملة للفنون الثلاثة. و لعل تعريف جعفر بن يحيى (ت ١٨٧ هـ) لهذه الكلمة شاهد على ما ذكرنا؛ ذكر الجاحظ في كتاب البيان و التبيين: «قال ثمامة: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، و يجلي عن مفراك، و تخرجه عن الشركة، و لا تستعين عليه بالفكرة، و الذي لا بد منه، أن يكون سليماً من التكلف، بعيداً عن الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأويل». بل لا

يبعد القول بأنهم لم يتجاوزوا المعنى اللغوي لهذه الكلمة في استعمالهم. و أول من أخرج هذه الكلمة عن معناها اللغوي، إلى مصطلح جديد، مقابل للسماني و البديع، هو السكاكي (ت ٦٢٦هـ) و تبعه على ذلك كل من تأخر عنه، حتى أصبح المصطلح الفني لهذه الكلمة:

«علم يبحث فيه عن التعبير عن مقصود واحد بأساليب متعددة، و طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه».

توضيح ذلك: أنك إذا أردت أن تعبر عن كرم زيد - مثلاً - فأمامك عدة أساليب مختلفة لإفادة هذا المقصود الواحد:

- | | |
|-------------------------------|--|
| أ) كالبحر يقذف للقريب جواهرأ | جوداً و يبعث للبعيد سحائباً |
| ب) علا فما يستقر المال في يده | و كيف تمسك ماء قنة الجبل |
| ج) فما جازه جود و لا حل دونه | و لكن يسير الجود حيث يسير ^(١) |
- إلى غير ذلك من الأساليب.

و عليه فمن كان ذا قدرة على إبراز المعنى الواحد، بصور متفاوتة، و تراكيب مختلفة في درجة الوضوح و الخفاء، عدّ عالماً بالبيان.

٢. الغرض من تدوينه

الغرض الأصلي من تدوين هذا العلم، هو الاطلاع على إعجاز القرآن الكريم، من ناحية الأسلوب التعبيري، و له فوائد أخرى فرعية:

منها: تحصيل البلاغة و تحقيقها، و ذلك لما تقدم، من توقف البلاغة على الفصاحة،

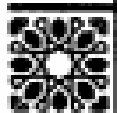
١. الأول و الثاني للمعني، و الأخير لأبي نواس.

المتوقفة على السلامة من التعقيد المعنوي، المتكفل بها هذا العلم.
 ومنها: الاقتدار على إبراز المعنى الواحد بأساليب متفاوتة وضوحاً و خفاءً، سواء
 حصلت البلاغة أم لا، لعدم توفر بقية الشروط.
 وفيما يلي نتكلم عن أبواب علم البيان و هي: «التشبيه و المجاز و الكناية»^(١).

١. حضرت مدرسة السكاكي المقصود الأصلي من علم البيان في باين: السجاز و الكناية. و توضيح ذلك يحتاج إلى تقديم مقدمة حاصلها:
 إن الدلالة - التي هي عبارة عن كون الشيء بحيث يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر - تنقسم عند علماء البيان إلى قسمين:
 أحدهما: الدلالة الوضعية، و هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له، و تقيد بالطابقة أيضاً.
 ثانيهما: الدلالة العقلية، و هي على ضربين:
 أ) الدلالة التضمنية، و هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له.
 ب) الدلالة الالتزامية، و هي دلالة اللفظ على لازم ما وضع له.
 و إيراد المعنى الواحد بأساليب متفاوتة وضوحاً و خفاءً، لا يتأني في الدلالة الوضعية: باعتبار أن السامع إذا كان عالماً بوضع الألفاظ لذلك المعنى، لم يكن بعضها أوضح دلالة عليه من بعض، و إلا فتتضي أصل الدلالة، لتوقف الفهم على العلم بالوضع.
 وإنما يتأني التفاوت المذكور في الدلالة العقلية: لجواز أن يكون للشيء لوازم متعددة، بعضها أقرب إليه من بعض. إذا اتضح ذلك، فاعلم أن السكاكي بنى تبويب هذا العلم على هذه الدلالات، فجعل المقصود الأصلي من علم البيان محصوراً في باين، و أخرج التشبيه عن كونه مقصوداً أصلياً؛ لأن دلالاته على المعنى وضعية غير قابلة للتفاوت بنظره. و لكن لما كانت الاستعارة التي هي نوع من السجاز، تعتمد على التشبيه، ألحقه بهذا العلم، و أفرد له باباً مستقلاً؛ لكثرة مباحثه، فصارت أبواب علم البيان ثلاثة: التشبيه و المجاز و الكناية.

الباب الأول

التشبيه



تعريف التشبيه

التشبيه لغة: التمثيل، و الشبيه: المثل، و ينتزع عن هذا التماثل، التليس، و الاستواء؛ و ذلك لأنّ ازدياد الشبه بين شيئين قد يؤدي الى حصول اختلاط فيما بينهما، فيتولد عن ذلك مشكلات في تمييز أحدهما عن الآخر، قال تعالى: ﴿مِثْلُ آيَاتِ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ﴾^(١).

و أما في الاصطلاح: فالظاهر أن التشبيه الاصطلاحي لا يختلف عن التشبيه اللغوي، إلا في كونه أكثر تفصيلاً، حيث ذكروا أنه: «عقد بمائلة بين شيئين أو أكثر، لاشتراكها في صفة أو أكثر، بأداة مخصوصة، لغرض من الأغراض».

أركان التشبيه

يلاحظ من التعريف المتقدم، أن التشبيه يرتكز على أربعة أركان، هي: المشبه، و المشبه به، و أداة التشبيه، و وجه الشبه.

١. المشبه: و هو ما يراد تشبيهه بغيره، و هذا هو الركن الأساسي، الذي يجيء التشبيه لخدمته، و توضيح مزاياه، و صفاته، فإذا نظرت إلى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(١)، نجد أن الغرض الذي لأجله سبق التشبيه راجع إلى الفرق الناتج عن الضرب بالعصا.

٢. المشبه به: و هو ما يراد تشبيه غيره به، كالطود العظيم في المثال المتقدم، و هذان الركنان هما طرفا التشبيه.

٣. أداة التشبيه: و هو اللفظ الدالّ على التشبيه، الذي يربط المشبه بالمشبه به، سواء كان حرفاً، أم اسماً، أم فعلاً، و فيما يلي نتكلم عن بعض هذه الأدوات:

الكاف: و هي أكثر أدوات التشبيه استعمالاً، و لا يليها إلا المشبه به، أو ما ينتزع عنه المشبه به. فالأول: كقول الامام علي عليه السلام: «صاحب السلطان كراكب الأسد، يُغَبِّطُ بموقعه، و هو أعلم بموضعه»^(٢)، و الثاني كقوله تعالى: ﴿وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأُخْطِطُ بِهِ نُبَاتٌ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾^(٣) لوضوح أنه ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء، بل المراد تشبيه حالها في نضرتها، و بهجتها، و ما يعقبها من الهلاك و الفناء، بحال النبات، يكون أخضر ناضراً، ثم يبس، فتطيره الرياح، كأن لم يكن^(٤).

كأن: و هي بعكس الكاف، لا يليها إلا المشبه. و أحسن مواقعها، عند ما يتقوى الشبه بين الطرفين، و لا يكاد الرائي يميز بينها لقوة تماثلها؛ و لذلك قالت بلقيس - و قد

١. الشعراء: ٦٢.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٢.

٣. الكهف: ٤٥.

٤. لم يلبها المشبه، لكونه مخبراً عنه، فلو دخلت عليه الكاف لامتنع الاخبار عنه.

أق سلهان عليه السلام بعرشها من اليمن، و أمر أن ينكر لها - حين وقع بصرها عليه: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾^(١). و لم تقل: هكذا هو؛ لأنّ التعبير الأخير يفيد التغاير مع وجود الشبه لا غير، بخلاف الأول، فإنه يفيد شدة التطابق بين العرشين، و أنها سواء.

و هي لا تفيد التشبيه دائماً، بل أكثر إفادتها له، عند ما يكون خبرها جامداً، و إذا كان مشتقاً فهي للظن غالباً.

مثل و شبه و نحوهما: كالأفعال المأخوذة منها: و هما كالکاف في الاستعمال،

قال الشاعر:

وَ الْوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مُبَيِّضٌ وَ الْفَرْعُ شِبْهُ اللَّيْلِ مُسْوَدٌ

٤. وجه الشبه: و هو الوصف الذي قصد تشريك الطرفين فيه، كحسن الظاهر و خطر

الباطن، في قول الامام علي عليه السلام: «مثل الدنيا كمثل الحية لئن مسّها، قاتل سُمّها»^(٢).

تقسيمات التشبيه

التقسيم الأول: ينقسم التشبيه بلحاظ الأداة و وجه الشبه، من حيث حذفها و

إنباتها الى أربعة أقسام:

١. التشبيه المرسل المفصل، و يعرف بالتشبيه التام: و هو التشبيه الذي ذكرت فيه

الأركان الأربعة جميعاً. و يعتبر هذا القسم أول مراتب التشبيه الخالية عن المبالغة؛ و ذلك

لأنّ المبالغة - التي حقيقتها هنا ادعاء أن المشبه عين المشبه به - لا تتلاءم مع وجود

الأداة، و وجه الشبه؛ لأنّ الأداة تفصل بين الطرفين و تميزهما عن بعضهما، و ذكر الوجه

١. النمل: ٤٢.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٦٨.

يحصر التشابه بينهما في جهة مخصوصة، وهي الصفة أو الصفات المذكورة. و من أمثلة هذا القسم قول البحري:

قُصُورٌ كَالكُوكِبِ لَامِعَاتٌ يَكْدُنُ بِضُنِّ السَّارِي الظَّلَامَا

٢. التشبيه المرسل المجمل: و هو ما ذكر فيه الأداة، و حذف منه وجه الشبه، فالإرسال من ناحية الأداة، و الإجمال من ناحية الوجه. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١).

٣. التشبيه المؤكد المفصل: و هو ما حذف منه الأداة، و ذكر فيه وجه الشبه، فالتأكيد باعتبار حذف الأداة، و التفصيل باعتبار ذكر الوجه. و من أمثله قول الشاعر:

أَنْتَ نَجْمٌ فِي رِفْعَةٍ وَ ضِيَاءٍ تَحْتَلِيكَ الْعَيْونُ شَرْقاً وَ غَرْباً

٤. التشبيه المؤكد المجمل، و يعرف بالتشبيه البليغ. و هو ما حذف منه الأداة و الوجه معاً، و في هذا القسم يصل التشبيه الى الذروة في المبالغة، كما أشرنا الى ذلك آنفاً. و من أمثله قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾^(٢)، أي: كالسراب في كونها تُرى على هيئة شيء و هي ليست بشيء.

التقسيم الثاني: تقسيمه باعتبار وجه الشبه من حيث تحققه في الطرفين و عدمه،

إلى ضربين:

١. التشبيه التحقيقي: و هو ما يكون وجه الشبه فيه موجوداً في الطرفين حقيقة، كما

في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٣)، فإن القوس كما

١. الرحمن: ٢٤.

٢. النبا: ٢٠.

٣. يس: ٣٩.

هو موجود في الهلال حقيقة، كذلك هو في المرجون القديم^(١).

٢. التشبيه التخيلي: و هو ما يكون وجه الشبه فيه موجوداً في أحد الطرفين، أو في

كليهما، على سبيل التخييل و التأويل، كقول الإمام عليؑ يصف حال الناس في أيامهم المقبلة: «فتن كقطع الليل المظلم»^(٢).

فوجه الشبه و هو الظلمة، وإن كان موجوداً في المشبه به حقيقة لكنه غير موجود في المشبه إلا تخيلاً.

التقسيم الثالث: تقسيمه باعتبار ظهور التشبيه و خفائه إلى قسمين:

١. التشبيه الصريح: و هو التشبيه الذي يكون ظاهراً في العبارة؛ لوضع طرفي

التشبيه فيه في قالب من قوالب التشبيه المعهودة. و ما تقدم من أمثلة كلها من باب التشبيه الصريح.

٢. التشبيه الضمني: و هو التشبيه الذي لا يكون ظاهراً في الكلام، بل يفهم منه

تلميحاً؛ لعدم وضع الطرفين في صورة من صور التشبيه المعهودة، و يكون المشبه به فيه برهاناً على إمكان ما أسند الى المشبه، كما في قول أبي تمام:

لا تُتَكْرِي عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى قَالَتِئِلَّ حَزْبٌ لِمَكَانِ القَالِي

أي: لا تتكري خلو الرجل الكريم من الغنى، فإن ذلك ليس عجيباً؛ لأن قم الجبال،

و هي أشرف الأماكن و أعلاها، لا يستقر فيها ماء السيل، فهو واقعاً يريد أن يشبه

الرجل الكريم، المحروم من الغنى، بقعة الجبل و قد خلت من السيل، لكنه لم يصرح بذلك،

١. قال الخليل: أصل الجدِّي، و هو أصفر عريض، يشبه الهلال إذا انمحق. و العذق هو العنقود من العنب أو النخلة.

أقول، و الظاهر من بعض الروايات، أن المرجون إنما يشبه الهلال بعد أن يمضي عليه ستة أشهر، فيكون أكثر بيوضة و نقوساً؛ ولذا قال: (كالمرجون القديم).

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٢.

بل الشطر الثاني من البيت منفصل عن الأول تمام الانفصال، و صالح للاستقلال. و من هذا القسم أيضاً قول المتنبي:

فإن تُفقي الأنامَ و أنتَ مِنْهُمُ فإنَّ المسكَ بعضُ دَمِ الغزالِ

فإنه لما ادعى أن المدوح قد فاق الناس، حتى صار أصلاً برأسه، و كان هذا مما يدعو إلى التعجب؛ لكونه كالممتع ظاهراً، فبين إمكانه، بأن شبه هذه الحال، بحال المسك الذي هو من الدماء، ثم لا يعد منها؛ لما فيه من الأوصاف الشريفة، التي لا توجد في الدماء، و لكنه أضر هذا التشبيه في النفس و لم يصرح به.

و يتضح من الأمثلة المتقدمة، أن التشبيه الضمني يمتاز عن غيره بأمر:

١. أن التشبيه فيه غير مصرح به، بل يلمح و يستنتج من المعنى.

٢. عدم وجود ترابط لفظي بين المشبه و المشبه به، بل كل منها صالح للإستقلال عن الآخر.

٣. إن المشبه في هذا التشبيه يثير فكرة فيها غرابة، فلا يسلم بها السامع تسليماً

مباشراً، و إنما يحتاج في القبول بها الى دليل يقنعه، و يرسخ اعترافه بها، فيأتي بالمشبه به؛ لكونه يصلح مثلاً وشاهداً، تقر به العقول بداهة، و تطمئن إليه القلوب سليقة.

التقسيم الرابع: تقسيمه باعتبار انعكاس طرفيه و عدمه الى ضربين:

١. التشبيه المقلوب: و هو عبارة عن التشبيه الذي يجعل فيه ما كان الأصل فيه أن

يكون مشبهاً به مشبهاً، و ما كان الأصل أن يكون مشبهاً مشبهاً به؛ قصداً الى إيهام أن

ما صار مشبهاً به، أتم في وجه الشبه من الذي صار مشبهاً، حتى صار هو الأصل، و

الآخر الفرع، إعتاداً على القاعدة المعروفة: من كون الوجه في المشبه به أتم، و لذا أطلق

عليه ابن الاثير في كنز البلاغة اسم: «غلبة الفروع على الأصول». و من أمثلة ذلك في

القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾^(١)، فإن المقصود في الأصل: أنهم جعلوا الربا كالبيع، فقلب مبالغة فيه، زعموا أن الربا أولى بالحلّ من البيع، حتى جعلوه أصلاً بالقياس عليه، و من أمثلته في الشعر، قول محمد بن وهيب:

وَ بَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجَهَ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُمْتَدِّحُ

٢. التشبيه غير المقلوب: و هو بخلافه، و قد تقدم ما يصلح مثلاً له.

التقسيم الخامس: تقسيمه باعتبار وجه الشبه، من حيث كونه صورة منتزعة من متعدد إلى قسمين:

١. التشبيه التمثيلي: و هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، كما في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ﴾^(٢)، حيث شبه حال الدنيا، و ذهاب نعيمها، و قلة نفعها، بحال النبات، الذي يخلب الأنظار بنضرته، ثم يصفر فجأة، و يبس و يصبح حطاماً و هشيماً تطيره الرياح. فإنك تجد أن وجه الشبه في هذا التشبيه - و هو الإغترار بالشيء، و التكالب عليه، ثم زواله و انقضاؤه فجأة كأن لم يكن - منتزعة من متعدد.

٢. التشبيه غير التمثيلي: و هو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد،

كما في قول المتنبي:

وَ مَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَ يَسْمَى بِلَا رِجْلٍ

١. البقرة: ٢٧٥.

٢. الحديد: ٢٠.

فوجه الشبه و هو الحفاء و عدم الظهور مفرد، موجود في كل واحد من الطرفين، و ليس صورة منتزعة من عدة أشياء.

أغراض التشبيه

أغراض التشبيه تعود في الغالب إلى المشبه، و إليك أهمها:

١. بيان إمكان المشبه: فيما لو كان المشبه أمراً غريباً، يمكن أن يخالف فيه، و يدعى امتناعه، فيؤتى له بمنث مثفق على إمكانه؛ لتزول تلك الغرابة من الذهن. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١)، و كما في قول ابن الرومي:

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَىٰ وَ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يُرَىٰ التَّوْرُ فِي الْقَضِيبِ الرَّطِيبِ

فإن التشبيه الضمني لا يأتي إلا لتحقيق هذا الغرض.

٢. بيان حاله: و ذلك حينما يكون المشبه مبهماً غير معروف الصفة، فيشبه بما هو معروفها عند المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَ تَزَهُفُهُمْ ذَلَّةٌ مِمَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾^(٢).

و التشبيه لهذا الغرض مما يعتمد عليه علماء التربية؛ لإبصال العلوم إلى أفكار الناشئة.

٣. بيان مقدار حاله: في القوة و الضعف، و الزيادة و النقصان، و نحو ذلك من الصفات التي تخضع للمقاييس، و تستجيب للتحديد. و ذلك فيما إذا كان المشبه معلوم الوصف على نحو الإجمال، من دون أن يكون محدد المقدار لدى المخاطب، فيشبهه بشيء

١. آل عمران: ٥٩.

٢. يونس: ٢٧.

معلوم المقدار عنده. كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(١). حيث إنَّ الإنسان البعيد عن الله، المتخبط في ظلام الضلال، تسد عليه الطرق، فيضيق صدره عن تحمل ذلك، فبيِّن لنا مقدار هذا الوصف، وأنه على أتم ما يكون، بتشبيهه بالضيق الحاصل لمن يصعد في السماء، حيث يضيق تنفسه، و يصبح على شفير الموت.

٤. تقرير حاله في ذهن السامع: وأكثر ما يكون ذلك في الأمور المعنوية؛ لاحتياجها الى تثبيت و تقرير في النفس، فتشبه بصورة حسية؛ وذلك لأن النفس بطبيعتها تميل إلى الأمور المحسوسة، و تنبو عن المعاني المجردة، فإذا برزت الأفكار المعنوية في صورة حسية قوي الإيمان بها.^(٢) و التأكد من صحتها، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَتَابِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾^(٣)، و مثله ما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

وَمَنْ يَضَعَبُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَائِئُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

٥. تزيينه في عين السامع: و ذلك لأجل الترغيب فيه، بتشبيهه بشيء حسن، كما في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾^(٤).

٦. تقييده في عين السامع: و ذلك ليرغب عنه، بتشبيهه بشيء قبيح، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ

١. الأنعام: ١٢٥.

٢. ولذا قال ابراهيم الخليل لما قال له الباري ﴿ألم تعلم من﴾ قال: ﴿بلى ولكن ليطعن قلبي﴾.

٣. الرعد: ١٤.

٤. الواقعة ٢٢-٢٣.

إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ»^(١).

و قد يعود الغرض من التشبيه إلى المشبه به، و ذلك على ضربين:

(أ) إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه، و يتحقق ذلك في التشبيه المقلوب،

كما في قول البحري:

فِي حُمْرَةِ الْوَرْدِ شَيْءٌ مِّنْ تَلْهِبِهَا وَ لِقَضِيْبٍ نَّصِيْبٍ مِّنْ تَشْنِيْبِهَا

فادعى أن حمرة الورد إنما هي قبس بسيط من تلهب و جنتها، و أن الليونة في

القضيب النضر، إنما هي مكتسبة من ليونة جسدها، قصداً إلى الإيهام بأن المشبه الأصلي

- المرأة - قد أصبح مشهوراً بهذه الصفات، حتى صار أصلاً يقاس عليه.

(ب) بيان الاهتمام بالمشبه به، كتشبيه الجائع وجهاً كاليدر في الإشراق و

الإستدارة بالرغيف. و أطلق السكاكي على التشبيه المشتمل على هذا النوع من الغرض

«إظهار المطلوب».

شروط التشبيه

ذكر القدماء أنه يشترط في التشبيه - غير المقلوب - شرطان:

١. أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم منه في المشبه.

٢. أن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه و أشهر من المشبه.

و الحق، أن الأمر يختلف باختلاف الغرض من التشبيه، فإن كان الغرض من التشبيه

هو بيان الإمكان، فيشترط أن يكون وجه الشبه في المشبه به مسلماً عند المخاطب، حتى

يؤمن عن طريقه بالمشبه الغريب.

وإن كان الغرض بيان الحال، فيشترط أعرافية حال المشبه به و أشهريتها.
وإن كان الغرض بيان مقدار الحال، فيشترط أن يكون مقدار المشبه به معروفاً
للمخاطب، مع كونه على حد مقدار المشبه، لا أزيد و لا أنقص، ليتعين مقدار المشبه على
ما هو عليه.

وإن كان الغرض تقرير الحال، فيشترط أن يكون المشبه به أتم و أشهر، لأن النفس
إلى الأتم و الأشهر أميل، فالتشبيه به لزيادة التقرير و التقوية أجدر.
وإن كان الغرض هو التزيين أو التقييح، فيشترط أن يكون حسن المشبه به، أو
فيحه أتم و أشهر بنظر السامع.

هذا بالنسبة للأغراض العائدة إلى المشبه، و أما بالنسبة للغرضين العائدين إلى المشبه
به، فالغرض الأول يقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه أتم و أشهر بحسب الواقع،
حتى يصدق الادعاء المذكور. و الغرض الثاني يستدعي الطمع في الحصول على المشبه به،
و لذا قال عنه السكاكي: «إنه لا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في شيء». و
الحاصل أن إطلاق القدماء لقاعدة أتمية المشبه به في وجه الشبه، كما استفاد من
قول المرعي:

ظَلَّمْنَاكَ فِي تَشْبِيهِ صُدْعَيْكَ بِإِلْسَانِكَ وَ قَاعِدَةُ التَّشْبِيهِ نُقْضَانُ مَا يَحْكِي
غَيْرِ مُسَلِّمٍ.



اسئلة و تمرينات

١. اشرح التشبيهات التالية، و بين نوعها، و اذكر الغرض منها:
 - (أ) «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَ قَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ»^(١).
 - (ب) «وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ»^(٢).
 - (ج) «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ»^(٣).
 - (د) «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتَانًا»^(٤).
 - (هـ) «وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ»^(٥).
- (و) قال الامام علي عليه السلام: «فإنما مثلكم و مثلها كمنفر سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه»^(٦).
- (ز) و قال عليه السلام أيضاً: «الحلم غطاء ساتر، و العقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقتك بحلمك، و قاتل هواك بعقلك»^(٧).
- (ح) و قال عليه السلام أيضاً: «أما والله لقد تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة، و إنه ليعلم

١. ابراهيم: ٢٤.

٢. النحل: ٧٧.

٣. ابراهيم: ١٨.

٤. العنكبوت: ٤١.

٥. القارعة: ٥.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٩٩.

٧. نهج البلاغة، قصار الحكم، ٤٢٤.

أَنْ يَحْلِي مِنْهَا مَحَلُّ الْقَطْبِ مِنَ الرَّحَا»^(١).

(ط) إِذَا غَامَزَتْ فِي شَرْفِ مَرْوَمٍ فَلَا تَقْتَعُ بِمَا دُونَ النَّجُومِ
 فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ^(٢).
 (ي) وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ قَرْدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطَمُ^(٣).
 (ك) كَرَمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَائِلًا وَ يَبِينُ عِثْقُ الْخَيْلِ مِنْ أَصْوَاتِهَا^(٤).
 (ل) إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَزَ وَدُّهَا بِمِثْلِ الزَّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُجْبِرُ
 (م) وَ كَأَنَّ الْبُرْقَ مُضْحَفٌ قَارٍ فَا نَطْبَاقًا مَرَّةً وَ انْفِثَاحًا^(٥).
 (ن) كَمْ نِعْمَةٌ مَرَّتْ بِنَا وَ كَأَنَّمَا فَرَسٌ يُهْرَوِلُ أَوْ نَسِيمٌ عَارِي
 (س) كَأَنَّ سَمَاءَ نَا لَمَّا تَجَلَّتْ جَلَالٌ تُجُومُهَا عِنْدَ الصُّبْحِ
 رِيَاضٌ بِنَفْسِجٍ خَضِلٍ نَدَاهُ تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقَاجِي^(٦).
 (ع) أَجِنُ لَهُمْ وَ دُونَهُمْ قَلَاةٌ كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ
 (ف) الْعُمُرُ بِمِثْلِ الضَّيْفِ أَوْ كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ
 (ص) ضَحُوكُ إِلَى الْأَبْطَالِ وَ هُوَ يَزُوعُهُمْ

وَاللَّسِيفِ حَدُّ جَيْنٍ يَسْطُو وَ زَوْنَقُ^(٧)

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٢. للمتنبي.

٣. للمتنبي.

٤. للمتنبي.

٥. لابن المعتز.

٦. لابن المعتز، والخضل، الرطب.

٧. للبحري.

- ق) فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَةُ يَنْقُطَةُ وَ الْمَرْءُ بِسَيْتِهَا خَيَالٌ سَارٍ^(١)
- ر) وَ بِيَاضُ الْبَازِي أَصْدَقُ حُسْنًا إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ^(٢)
- ش) وَ مُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدٌّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةٌ نَارٍ^(٣)
- ت) كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَ أَشْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ^(٤)
- ث) تَرْدَحِمُ الْقُصَادُ فِي بَايِهِ وَ الْمَثَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرِّحَامِ
- خ) اضْبِرْ عَلَى مَضِضِ الْحُسُوِ دِقَانٌ صَبْرَكَ قَسَاتِلُهُ
- الْبَارُ تَأْكُلُ بِفَضْلِهَا إِنْ لَمْ تَحْجِزْ مَا تَأْكُلُهُ^(٥)
- ذ) وَ الصَّبْحُ فِي طَرَّةِ لَيْلٍ مُسْفِرٍ كَأَنَّهُ غُرَّةٌ مُهْرٍ أَشْقَرٍ^(٦)
- ض) سَيْدُكُمْ فِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ^(٧)
- ظ) وَ النَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تُهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى
- حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِنَهُ يَنْقَطِمُ^(٨)
- غ) وَ كَأَنَّ الْهِلَالَ نُورٌ لُجَيْنٍ
- عَرِقَتْ فِي صَاحِبَةِ زَرْقَاءِ^(٩)

١. للتهامي.
 ٢. للبحري.
 ٣. للتهامي.
 ٤. ليشار بن برد.
 ٥. لأبي تمام.
 ٦. لابن المعتز.
 ٧. لأبي فراس.
 ٨. للبوصري.
 ٩. السري الرقاعي.

٢. اجعل كلاً مما يأتي مشبهاً في تشبيه تمثيل:

(أ) جيش منهزم يتبعه جيش ظافر.

(ب) المذنب لا يزيده النصح إلا تمادياً.

(ج) الرجل العالم بين من لا يعرفون منزلته.

٣) اجعل كلاً مما يأتي مشبهاً به في تشبيه تمثيل:

(أ) الشعلة إذا نكست زادت اشتعلاً.

(ب) الشمس تحتجب بالغيام ثم تظهر.

(ج) الماء الزلال في فم المريض.

الباب الثاني

المجاز



أقسام المجاز

ينقسم المجاز إلى ثلاثة أقسام:

١. المجاز في اللفظ، و يعرف باسم المجاز اللفظي أو اللغوي.
 ٢. المجاز في الإسناد، و يعرف باسم المجاز العقلي.
 ٣. المجاز في الحذف، و يعرف باسم المجاز في الإعراب.
- فيقع الكلام عن هذه الأقسام في ضمن فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في المجاز اللفظي (اللغوي)

تعريف الحقيقة و المجاز

الحقيقة في الأصل: (فعل) بمعنى فاعل من حقَّ الشيء إذا ثبت، أو بمعنى (مفعول) من قولهم: حَقَّقْتُ الشيء، إذا أثبتته. ثم نقل إلى الكلمة الثابتة في معناها الأصلي بالاعتبار الأول، أو المثبتة في ذلك المعنى بالاعتبار الثاني، و ألحقت به التاء لتدل على النقل من

الوصفية الى الإسمية، كذبيحة.

و في الاصطلاح: «استعمال اللفظ فيما وضع له، في اصطلاح التخاطب». فاللفظ قبل الاستعمال، و بعد الوضع لا يتصف بالحقيقة و المجاز. و قولنا «فما وضع له» مخرج للمجاز و الغلط، و قولنا: «في اصطلاح التخاطب» مخرج لمثل الصلاة إذا استعملت عند أهل الشرع في الدعاء فإنها مجاز في الاصطلاح الذي وقع به التخاطب، و إن كانت حقيقة باصطلاح تخاطب أهل اللغة.

و المجاز في الأصل: (مفعل) من جاز المكان يجوزه، إذا تعداه، نقل الى الكلمة المجازة - المتعدية - معناه الأصلي، أو المجوز بها عن معناها الأصلي، فعلى الأول هي اسم فاعل، و على الثاني اسم مفعول.

و في الاصطلاح: «استعمال اللفظ في غير ما وضع له، في اصطلاح التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة مانعة من إرادة ما وضع له». و يفهم من هذا التعريف أن المجاز يتقوم بأمر ثلاثة:

١. استعمال اللفظ في غير ما وضع له.

٢. وجود علاقة و مناسبة بين المعنى الموضوع له اللفظ، و المعنى المستعمل فيه. و فهم ذلك من قولنا: «على وجه يصح»، و بهذا الأمر يخرج الغلط عن كونه مجازاً، لأنه استعمال في غير ما وضع له، بلا وجه يصح.

٣. القرينة الدالة على إرادة غير ما وضع له، و المانعة من إرادة ما وضع له.^(١)

١. و بهذا الأمر تخرج الكناية - لو قلنا بأنها استعمال للفظ في غير ما وضع له - لأنه لا مانع من إرادة ما وضع له فيها. أما بناء على ما هو الحق من أن اللفظ في الكناية مستعمل فيما وضع له ليراد لازمه، فلا يكون القيد المذكور احترازياً وإنما هو لبيان الواقع.

و دخل بقولنا: «في اصطلاح التخاطب» مثل الصلاة المستعملة في الدعاء عند أهل الشرع.

أقسام المجاز اللفظي

ينقسم المجاز المذكور الى قسمين:

أحدهما: المجاز المرسل.

والآخر: الإستعارة.

و ذلك: أن العلاقة - التي يقوم بها المجاز - القائمة بين المعنى الحقيقي الموضوع له اللفظ، و المعنى المجازي المستعمل فيه، إن كانت هي المشابهة، فالمجاز استعارة، وإلا فمجاز مرسل.

القسم الأول: المجاز المرسل

اتضح مما تقدم أن المجاز المرسل مجاز علاقته غير المشابهة، وإنما سمي مرسلًا لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة.

علاقات المجاز المرسل

الحق أن صحة الإستعمالات المجازية متوقفة على استحسان الطبع العربي، و الذوق الأدبي لذلك. و بعد أن تتبع علماء البلاغة ما ورد عن العرب من مجازات مستحسنة عندهم، وجدوا أن ذوقهم و سليقتهم قد استقرت على استحسان مجازات بعلائق معينة، يصح القياس على طبقها في موارد مخصوصة. و إنما قلت: «في موارد مخصوصة»، لما يلاحظ من أن بعض العلاقات ليس مطرداً على نحو الإطلاق. مثلاً: يصح استعمال الرقبة في العبد بعلاقة الجزئية، لكن ليس مطلقاً، بل مع أفعال مخصوصة كأعتقت و بعثت و اشترت دون

غيرها، فلا يقال نامت الرقبة و نحو ذلك، و فيما يأتي نتكلم عن أهم تلك العلاقات.
و هي كثيرة، أهمها:

١. علاقة السببية: بأن يطلق اسم السبب على المسبب، كقول المتنبي:

لَهُ أَيَادٍ عَلَى سَابِقَةٍ أَعَدُّ مِثْنَهَا وَلَا أَعَدُّهَا

حيث أراد من الأيادي ما هو مسبب عنها أعني: النعم.

٢. علاقة المسببية: بأن يطلق اسم المسبب على السبب، كقوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ لَكُمْ

مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾^(١)، أي مطراً مسبباً عنه الرزق.

٣. علاقة الجزئية: بأن يطلق اللفظ الموضوع للجزء و يراد منه الكل، كقوله تعالى:

﴿فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٢).

و الملاحظ في هذه العلاقة أنه لا يصح إطلاق أي جزء من أجزاء الكل عليه، فلا

تقول: «أعتقت يداً» تريد عبداً، بل الذي يصح هو خصوص الجزء الذي له مزيد

اختصاص بالكل، فالعبودية باعتبار أنها تقيد صاحبها فهي غل له، و محل الغل هو

الرقبة، فناسب إطلاقها على العبد^(٣).

٤. علاقة الكلية: بأن يطلق اللفظ الموضوع للكل و يراد منه الجزء، كقوله تعالى:

١. غافر: ١٣.

٢. المجادلة: ٣.

٣. إن قلت إنه إذا كان الأمر كما ذكر، فلماذا لا يصح إطلاق المنق على العبد، فيقال: اعتقت عنقاً، كما صح أن يقال: «اعتقت رقبة». و يمكن الجواب عن ذلك بأنه وإن لم يصح مع الفعل المذكور و نحوه، لكنه يصح مع غيره، فالعرب تقول: «ذلت عنقي لفلان». و لعل السر في ذلك: أن (رَقَبَتٌ) أصل يدل على الانتصاب و الارتفاع، و هو يتنافى مع العبودية، فكان محلاً للتقيد. بينما (عَنَقٌ) أصل يدل على امتداد، و (ذَل) أصل يدل على اللين، الذي هو ضد للعر، الذي هو في الأصل الأرض الصلبة الشديدة، و هذه يكون فيها امتداد عادة، فناسب استعمال الذل مع العنق. فالحاصل أن الجزء إذا كان له مزيد اختصاص بالكل يصح إطلاقه عليه، لكن مع أفعال تناسبه.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾^(١) أي اناملهم، و حكمة التعبير بالأصابع المبالغة، فكأنهم جعلوا جميع الأصابع في الآذان مبالغة في الاحتراز عن سماع الصواعق لشدة حرصهم على الحياة. و هذا النحو من العلاقة مطرد.

٥. علاقة المحالية: بأن يطلق اسم الحال على المحل، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢)، أي: في الجنة لأنها محل الرحمة.

٦. علاقة المحلية: بأن يطلق اسم المحل على الحال فيه، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَذْعُ نَادِيَةً﴾^(٣)، حيث أطلق النادي و هو مكان الإجتماع، و أراد به المحالين فيه.

٧. علاقة ما كان: بأن يسمى الشيء باسم ما كان عليه، و ليس هو عليه الآن، كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٤)، أي: الذين كانوا كذلك، إذ لا يتم بعد البلوغ.

٨. علاقة ما سيكون، أو الأول و المشارفة: بأن يسمى الشيء باسم ما سيؤول إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾^(٥)، أي: عنباً، فعبّر عنه بذلك لأنه آيل إلى الخمرية.

٩. علاقة الآلية: بأن يسمى الشيء باسم آله، كقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٦)، أي ذكراً حسناً، فعبّر عنه باسم آله.

الى غير ذلك من العلاقات، التي يرجع بعضها إلى ما ذكر.

١. البقرة: ١٩.

٢. آل عمران: ١٠٧.

٣. العلق: ٧.

٤. النساء: ٢.

٥. يوسف: ٣٦.

٦. الشعراء: ٨٤.

القسم الثاني: الإستعارة

تعريفها

الإستعارة لغة: مأخوذة من العارية بالتشديد - وهو الأكثر - و التخفيف، وهو اسم من الإعارة، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر، سمي ذلك عارية، لأنها عار على من طلبها. و اصطلاحاً: «استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة». أو قتل: «الإستعارة مجاز علاقته المشابهة».

العلاقة بين التشبيه والإستعارة

الإستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، و دخلت في المجاز باعتبار أننا نطلق اللفظ الموضوع لأحد الطرفين على الطرف الآخر، و من هنا كانت الإستعارة أبلغ من التشبيه. توضيح ذلك: تقدمت الإشارة في الباب السابق إلى أن بلاغة التشبيه مبنية على المبالغة، و ادعاء أن المشبه عين المشبه به، و لذا كان أقل التشبيهات مرتبة في البلاغة، ما ذكرت أركانه جميعاً، و أرفع مراتبه بلاغة ما حذف منه الأداة و وجه التشبه، و ذلك لأن ذكر الأداة يميز بين المشبه و المشبه به، و يضع بينها فاصلاً، و ذكر الوجه يحصر الشبه في الصفة أو الصفات المذكورة فحسب، فإذا حُدِثا ارتقى التشبيه إلى أعلى قمة المبالغة و الادعاء، و لكن مها بولغ فيه، لا بدّ من ذكر الطرفين معاً، و العرب لما أرادوا الازدياد في المبالغة، ابتكروا أسلوباً آخر أشد مبالغة من التشبيه، و أكثر وقعاً في النفس منه، ألا و هو أسلوب الاستعارة.

فأنت عندما تقول: «زيد أسد» فقد ادعيت أنه أسد بجعل الأُسدية عليه، بينما عندما تقول: «رأيت اسداً»، فقد جعلته أسداً بلا حاجة إلى إسناد الأُسدية له، فإن الشيء

لا يسند إلى نفسه، مدعياً أنّ له اسمين، بأيهما عبرت فهم المقصود، وهذا غاية المبالغة، التي ليس بعدها غاية.

أركان الاستعارة

للإستعارة أركان ثلاثة، هي:

١. المستعار منه، و هو المشبه به.
٢. المستعار له، و هو المشبه.
٣. المستعار، و هو لفظ المشبه به.

تقسيمات الإستعارة

التقسيم الأول: تنقسم الإستعارة بلحاظ حذف أحد طرفيها إلى قسمين:

١. الإستعارة التصريحية: و هي ما صُرِّح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، كقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١)، حيث شبه الدين الحق بالصراط المستقيم بجامع^(٢) الإيصال الى الغاية، ثم حذف المشبه، و أبقى المشبه به. و كقول الإمام علي عليه السلام: «فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة، شبعها قصير، و جوعها طويل»^(٣) حيث شبه الدنيا بالمائدة بجامع كونها مجتمع اللذات، ثم حذف المشبه، و أبقى المشبه به.

٢. الإستعارة المكنية: و هي ما حذف فيها المشبه به، و رمز له بشيء من لوازمه. و

إنبات لازم المشبه به للمشبه يسمى: «إستعارة تخيلية»، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ

١. الفاتحة: ٦.

٢. الجامع في الإستعارة هو وجه الشبه في التشبيه.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢١.

الشَّرُّ قَدْ وَدُعَاءٍ غَرِيضٍ»^(١)، حيث شبه الدعاء بشيء ممتد، وحذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو العرض والانتساع، على سبيل الإستعارة بالكناية، وإثبات العرض للدعاء إستعارة تخيلية.

و كقوله ﷺ: «فكأن قد علقتكم مخالب المنية»^(٢) حيث شبه المنية بالسبع بجامع اغتيال النفوس، ثم حذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو المخالب على سبيل الإستعارة المكنية وإثبات المخالب للمنية إستعارة تخيلية.

التقسيم الثاني: تقسيمها باعتبار طرفيها من حيث اتصالها بالملائم وعدمه، إلى ثلاثة أقسام:

١. الإستعارة المطلقة: وهي التي خلت عن ملائم الطرفين، كقوله تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ»^(٣)، حيث شبه زيادة الماء زيادة مفسدة بالطغيان، بجامع مجاوزة الحد في كل، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الإستعارة التصريحية، من دون أن يذكر ملائم لأحد الطرفين.

٢. الإستعارة المرشحة: وهي المقرونة بما يلائم المستعار منه (المشبه به)، كقوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ إِيجَارَتُهُمْ»^(٤)، حيث استعير الاشراف للاستبدال والاختيار على سبيل الإستعارة التصريحية، ثم فرغ عليه ما يلائم المستعار منه من الريح والتجارة.

٣. الإستعارة المجردة: وهي المقرونة بما يلائم المستعار له (المشبه)، كقوله تعالى:

١. فصلت: ٥٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٥.

٣. العنكبوت: ١١.

٤. البقرة: ١٦.

﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾^(١)، في الآية استعارتان:

الأولى: استعارة الإذاقة التي من شأنها أن تستعمل في المطبوعات، للإصابة التي من شأنها أن تستعمل في الضرر و الألم الناشيء عن الجوع و الخوف، على سبيل الإستعارة التصريحية.

الثانية: استعارة اللباس للأثر المحاصل من الجوع و الخوف^(٢)، أعني: الضرر، على سبيل الإستعارة التصريحية.

و الإستعارة الثانية ملائمة للمستعار له في الإستعارة الأولى و هو الإصابة، إلا أنها ملائمة له على سبيل المجاز دون الحقيقة.

و إنما عدل عن الترشيح إلى التجريد، مع أنّ الأول أبلغ - كما سيأتي - فلم يقل (كساها الله لباس الجوع و الخوف) أو (أذاقها الله طعم الجوع و الخوف)، لأن المراد من الآية إفادة أمرين:

١. أن العذاب أتر في القرية غاية التأثير.

٢. أنه كان شاملاً لجميع القرية.

و الإذاقة تدل على الأول دون الكسوة، و اللباس لكونه يعم البدن يشعر بالثاني،

دون الطعم الذي يقصر التأثير على الفم^(٣).

١. النحل: ١١٢.

٢. قال في المجمع: سمي أتر الجوع و الخوف لباساً، لأن أثرهما يظهر على الإنسان كما يظهر على اللباس.

٣. قال بعض شراح الكشاف أن هذا الكلام يستحق على علماء البيان أن يكتبوه بالتبويب لا بالعمير، و قد وضحت به بشكل لم يسبقني إليه احد.

تنبيهات متعلقة بالتقسيم السابق

الأول: لا يعتبر الترشيح و التجريد إلا بعد استيفاء الإستعارة لقرينتها، و لهذا لا تسمى قرينة التصريحية تجريداً، و لا قرينة المكنية ترشيحاً.

الثاني: الترشيح أبلغ من التجريد، فالإستعارة المقرونة بما يلائم المستعار منه، أبلغ من المقرونة بما يلائم المستعار له، و ذلك لأن الاستعارة - كما تقدم - مبنية على تناسي التشبيه، فإذا ذكر ما يلائم المشبه به دون المشبه، كان هذا موجباً لتقوية ذلك المبنى، فتشدد المبالغة في إدخال المشبه في جنس المشبه به.

الثالث: ذكر ما يلائم المستعار منه في الترشحية، و ما يلائم المستعار له في التجريدية، أعم من أن يكون على نحو الحقيقة أو المجاز، كما مرّت الإشارة إليه في مثال الإستعارة التجريدية.

التقسيم الثالث: تقسيمها باعتبار الجامع إلى قسمين:

١. الإستعارة العامية: و هي ما كان الجامع فيها ظاهراً، يعرفه كل واحد، و سميت عامية، لكونها مبتذلة، تذكر على ألسنة العوام، كاستعارة الأسد للشجاع، و البحر للعالم، و الصباح للوجه المشرق، و نحو ذلك من الإستعارات الظاهرة، التي تلوّكها ألسنة العوام.

٢. الإستعارة الخاصة: و هي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضاً، لا يطلع عليه إلا الخواص، و هم الذين أوتوا ذهناً ارتفعوا به عن طبقة العوام، و الغرابة التي تجعل الإستعارة منسوبة إلى الخواص تنشأ من أحد أمرين:

أحدهما: أن يكون التشبيه فيه نوع غرابة، كاستعارة التقطيع للتفريق في قوله تعالى:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾^(١)، فإنها استعارة تصريحية خاصة، منشأ الغرابة فيها راجع إلى غرابة التشبيه.

ثانيها: أن يتصرف في الإستعارة العامة تصرفاً يخرجها عن الابتدال، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٢)، فاستعارة الاشتعال للانتشار و الظهور إستعارة عامة، لكنه لما أسند الاشتعال الذي حقه أن يسند إلى الشيب، أسنده إلى الرأس، أورت الإستعارة دقة و غرابة، إذ أنه يريد أن يشعر أن الشعر الأبيض لكثرتة، قد ملأ الرأس، بحيث انتقل وصف الشعر إلى الرأس، فصار كل جزء من الرأس مشتعلًا، ولو كان هناك شيء من الشعر لم يتصف بالوصف، لما صدق الاشتعال على الرأس.

و بما ينبغي أن يعلم في المقام، أنه يستحسن ألا تبعد الإستعارة جداً، فتعزب عن الفهم^(٣)، و لا تقرب جداً فتستبرد، و خير الأمور أوسطها.

التقسيم الرابع: تقسيمها باعتبار الأفراد و التركيب إلى قسمين:

١. الإستعارة المفردة: و هي الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة، أو قل: هي الإستعارة التي لا يكون أصلها تشبيه ثقيل. و علماء البلاغة جعلوا هذا القسم من الإستعارة مقسماً للتقسيمات السابقة.

٢. الإستعارة المركبة: و هي المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، أو قل هي ما كان أصلها تشبيه ثقيل، و هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من

١. الاعراف: ١٦٨.

٢. مريم: ٤.

٣. كما في قول يزيد بن مسلمة يصف فرساً بأنه مؤدب:

وَأَيْدِي أَحْسَنِي تَسْرِبُونَهُ بِحَيْثَابِهِ

عَلَّكَ الشَّيْبِيمَ إِلَى الْعِزَابِ الزَّائِمِ

متعدد، و يختص هذا القسم من الإستعارة باسم الإستعارة التمثيلية، بل إذا أطلق التمثيل لا يتبادر منه إلا هذا.

و من أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، حيث شبه تعالى حال أولئك الماكرين في تسويتهم المكائد للإيقاع بالرسول ﷺ، و في إبطاله تعالى لتلك الحيل، و جعله إياها أسباباً لهلاكهم، بحال قوم بنوا بنياناً، و عمروه بالأساطين، فأتى الهلاك من قبل أساطينه، بأن ضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا، بجامع أن ما عدوه، سبباً لنفعهم، عاد سبباً لاستئصالهم. فاستعيرت الهيئة الدالة على المشبه به، شديثة الدالة على المشبه، على سبيل الإستعارة التمثيلية. و من هذا الباب قول المتنبي:

وَمَنْ يَكُ ذَا قَمٍ مُرٌّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرّاً بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَاً

حيث شبه حال من يعيب شعره، لعيب في ذوقه الشعري، و ضعف في إدراكه الأدبي، بحال المريض الذي يصاب بمرارة في فمه، إذا شرب الماء العذب وجده مرّاً، ثم استعار التركيب الدال على المشبه به للمشبه، على طريقة الإستعارة التمثيلية.

و إذا اشتهرت الإستعارة التمثيلية، و كثر استعمالها، سميت مثلاً، فلا يجوز تغييره و الحالة هذه، بل يستعمل للمفرد و المذكر و فروعها بطريقة واحدة، لأن الاستعارة هي لفظ المشبه به، المستعمل في المشبه، فلو غير المتل، لما كان لفظ المشبه به بعينه، فلا يكون استعارة، فلا يكون مثلاً، و هذا هو السر في قولهم الأمثال لا تبدل.

و من أمثلة ذلك قولهم في المحتاج الى شيء بعد تفريطه به: «الصيف ضيَعَتِ اللبن»، و بيان الإستعارة في هذا المثل أن يقال: شبه حال المحتاج الى شيء بعد تفريطه به، بحال المرأة التي كانت تحت شيخ غني، فتركته و تزوجت شاباً فقيراً، فأصابها ضنك في الشتاء، فجاءت إلى زوجها الأول، تطلب منه لبناً، ثم استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، فصار تمثيلاً.

و كيفية إجراء الإستعارة في الأمثال عموماً، أن يقال: شبه المضرب - و هي الحالة الجديدة - بالمورد - و هي الحالة القديمة التي قيل فيها لأول مرة - ثم استعير الكلام الموضوع للمورد للمضرب، فصار تمثيلاً.

الفصل الثاني: في المجاز العقلي (المجاز في الإسناد)

لما كان المجاز العقلي قسماً للحقيقة العقلية، ناسب التعرض لها في هذا الفصل، و إن كان المقصود الأصلي منه هو الأول.
فاعلم أنهم قسّموا الإسناد إلى قسمين:

١. الإسناد الحقيقي: و يعرف باسم الحقيقة العقلية، في قبال الحقيقة اللغوية، و

هو عبارة عن: «إسناد الشيء إلى ما هو له عند المتكلم، بحسب ما يظهر من حاله».

و يفهم من هذا التعريف، أن الإسناد الحقيقي إسناد الى ما هو له، لا في الواقع، و لا في

الاعتقاد الواقعي، بل بحسب الاعتقاد الظاهري، يعني: الإسناد إذا كان مطابقاً لما يفهم من

ظاهر حال المتكلم، كان حقيقياً، سواء كان مطابقاً للواقع أم لا، و سواء كان مطابقاً

لاعتقاده الواقعي ام لا.

و بهذا يدخل في التعريف:

أ) ما يطابق الاعتقاد و الواقع معاً، كقوله تعالى: «خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ»^(١).

- ب) ما يطابق الاعتقاد فقط، كقول الكافر الظاهر حاله: «أنبت الربيع البقل».
- ج) ما يطابق الواقع فقط، كقول الكافر الساتر حاله: «أنبت الله البقل».
- د) ما خالف الواقع و الاعتقاد معاً، كقول المؤمن الساتر حاله: «خلقت الطبيعة الإنسان».

٢. الإسناد المجازي: و هو: «إسناد الشيء الى غير ما هو له، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي».

و عليه، فيتقوم المجاز العقلي من أركان ثلاثة:

- أ) أن يكون الإسناد الى غير ما هو له.
- ب) أن يوجد علاقة و ارتباط بين طرفي الإسناد.
- ج) أن توجد قرينة تصرف الإسناد عن حقيقته.

ملايسات المجاز العقلي

ملايسات المجاز العقلي تتحقق في موارد نذكر أشهرها:

١. الإسناد إلى السبب: كقوله تعالى: «وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا»^(٢)، حيث أسند زيادة الإيمان، التي هي من فعل الله عزَّ و جلَّ إلى الآيات، لكونها سبباً في الزيادة.

٢. الإسناد إلى الزمان: كقوله تعالى: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ

١. العنكبوت: ٤٤.

٢. الأنفال: ٢.

الْوَلْدَانَ شِيْبًا^(١)، فأسند الفعل إلى زمن وقوعه، وليس هو بفاعل، وإنما الفاعل ما يقع في ذلك اليوم من الأحوال.

٣. الإسناد إلى المكان: كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(٢)، فأسند الفعل إلى مكانه، وكان حقه أن يسند إلى الله عزّ وجلّ.

٤. الإسناد إلى المصدر: كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾^(٣)، حيث نسب الفعل إلى المصدر، وكان حقه أن ينسب إلى فاعله الحقيقي، وهو الشيطان.

٥. إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول: كقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٤)، حيث أسند (راضية) إلى ضمير العيشة، وحقه أن يسند إلى صاحب العيشة، فإن العيشة مرضية، لا راضية.

٦. إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل: كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾^(٥)، فإن الحجاب ساتر، وليس بمستور.

قرينة المجاز العقلي

القرينة: هي الأمر الذي يدلنا على أن الإسناد إلى غير ما هو له، وهي على ضربين:

١. القرينة اللفظية: كقول أبي النجم:

١. المزمل: ١٧.

٢. الزلزلة: ٢.

٣. الأعراف: ٢٠٠.

٤. القارعة: ٧.

٥. الإسراء: ٤٥.

قَدْ أَضْبَحَتْ أُمُّ الْخَيْارِ تَدْعِي عَلَيَّ ذَنْباً كُفْلَهُ لَمْ أَضْعِ
مِنْ أَنْ رَأَتْ زَائِي كَرَأْسِ الْأَضْعِ مَيَّرَ عَنْهُ قُنْزَعاً عَنْ قُنْزِعِ

جَذْبُ اللَّيَالِي أَبْطَنِي أَوْ أَسْرَعِي

فإسناد التمييز إلى الليالي مجاز، قرينته قوله بعد ذلك:

أَفْتَاهُ قَبِيلُ اللَّهِ لِشَّمْسِ أَطْلَعِي خَسِيٌّ إِذَا وَارَاكِ أَفْتَى فَازْجَمِي

٢. القرينة المعنوية: كاستحالة صدور المسند من المسند إليه، إما عقلاً، نحو: «يَوْمًا

يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا»^(١)، وإما عادة، نحو: «يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا»^(٢)، وكصدوره عن

الموحد، كما في قول العبدى:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَ أَفْتَى الْكَبِيرَ سَرَكْرَهُ الْغَدَاةِ وَ مَرُّ الْعَشِيِّ

تنبيهان

١. المجاز العقلي كما يجري في النسب الإسنادية، يجري في غيرها، كالنسب الإضافية،

نحو: «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ»^(٣)، و النسب الإيقاعية، نحو: «وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ

الْمُشْرِقِينَ»^(٤).

٢. الحقيقة و المجاز العقليان يفترقان عن الحقيقة و المجاز اللفظيين، في كونها هنا

وصفاً للإسناد، و هناك وصفاً للكلمة.

١. المزمل: ١٧.

٢. غافر: ٣٦.

٣. سبأ: ٣٣.

٤. الشعراء: ١٥١.

الفصل الثالث: في المجاز في الحذف

المجاز في الحذف، أو المجاز في الإعراب عبارة عن: «نقل كلمة عن إعرابها الأصلي، الثابت لها إلى إعراب غيره، بسبب حذف لفظ، أو زيادة آخر»^(١).
 فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾^(٢)، فإعراب القرية في الأصل هو الجر، لأن أصل الكلام: (و اسأل أهل القرية) فحذف المضاف، وأعطى حكمه للمضاف إليه. ويحتمل فيه وجوه أخرى.

منها: أن يكون التجوز في إطلاق القرية على أهلها، ليكون مجازاً مرسلأً علاقته المحلية.
 ومنها: أن يكون التجوز في النسبة الإيقاعية، كما مر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، فيكون مجازاً عقلياً.

ومنها: أن يكون التجوز في السؤال، بأن يراد منه فعل يصح تعلقه بالقرية حقيقة، كأخذ الأثر ونحوه، بجامع المشابهة في تحصيل المطلوب، فيكون إستعارة.

ومنها: أن يكون من باب طلب حصول المعجزة، فلا يكون فيه تجوز أصلاً.
 والثاني: مُثَلِّ له بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤)، بدعوى أَنَّ الأصل: (ليس مثله شيء)، لأن المقصود نفي أن يكون شيء مثل الله تعالى، لا نفي أن يكون شيء مثل مثله^(٥).

١. فيكون تسمية كل من الحذف و الزيادة بالمجاز في الحذف من باب التخليب.

٢. يوسف: ٨٢.

٣. الشعراء: ١٥١.

٤. الشورى: ١١.

٥. والصحيح أنه ليس فيه زيادة بل هو نفي المثل بطريقة الكتابة، كما في قولك: «مثلك لا يبخل»، وربما يأتي ما يوضح ذلك في باب الكتابة.



اسئلة و تمرينات

١. اذكر لكل علاقة من علاقات المجاز المرسل مثلاً من القرآن الكريم.
٢. بين كيف جرت الإستعارة في الأمثلة التالية، و اذكر نوعها.
 - (أ) ﴿وَ اَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَآ تَفَرَّقُوا﴾^(١).
 - (ب) ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢).
 - (ج) ﴿وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(٣).
 - (د) ﴿وَ اَخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^(٤).
 - (هـ) ﴿وَ فِي عَادٍ إِذْ اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٥).
 - (و) ﴿قَالُوا اضْغَاثٌ اَخْلَامٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَاوِيلِ الْاَخْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾^(٦).
 - (ز) ﴿وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾^(٧).
 - (ح) ﴿اَوَلَيْكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَاَضْرَبَهُمْ عَلَيَّ النَّارِ﴾^(٨).
 - (ط) ﴿وَ قَطَعْنَا فِي الْاَرْضِ اَنْحَاماً﴾^(٩).

١. آل عمران: ١٠٣.

٢. النمل: ١٣.

٣. التكويم: ١٨.

٤. الإسراء: ٢٤.

٥. الذراريات: ٤١.

٦. يوسف: ٤٤.

٧. الكهف: ٩٩.

٨. البقرة: ١٧٥.

٩. الأعراف: ١٦٨.

ك) «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ»^(١).

ل) «تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ»^(٢).

م) «أما والله لقد تَمَصَّصَهَا ابن أبي قحافة»^(٣).

ن) «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هبة طار إليها»^(٤).

ص) «أخذنا بأطراف الحديث بيتنا

و سالت بأعناق المطي الأباطح»^(٥).

٣. اجعل الإستعارة التمثيلية الآتية تشبيهات ضمنية بذكر حال مناسبة

تجعلها مشبهاً قبل كل استعارة:

أ) «يمشي رويداً و يكون أولاً».

ب) «رضيت من الغنيمة بالإياب».

ج) «ليس التكحل في العينين كالكحل».

د) «لا يطاع لقصير أمر».

هـ) «لا يُلْدَغ المؤمن من جحر مرتين».

و) «أحشفاً و سوء كيلة».

٤. أذكر لكل علاقة من علاقات المجاز العقلي مثلاً من القرآن.

١. الأتمام: ٥٩.

٢. الملك: ٨.

٣. نهج البلاغة، خطبة ٣.

٤. النهاية، لابن الأثير: ج ٥، ص ٢٨٨.

٥. لكثير مرة.

الباب الثالث

الكناية



تعريف الكناية

الكناية لغة: مصدر كَنَيْتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به، و منها أخذت الكنية، لأن فيها مواراة للإسم، و عدم التصريح به.
و اصطلاحاً: «استعمال اللفظ في معناه الموضوع له، ليراد منه لازمه، مع جواز إرادة الملزوم، و هو المعنى الموضوع له اللفظ»^(١).
و تفرق عن المجاز اللغوي - بقسميه - بأمرين:^(٢)

١. و تسمى عند قدماء ابن جعفر إردافاً، حيث عرفه بقوله: «أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي

باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو رده و تابعه، فإذا دلّ التابع أبان عن المتبوع».

٢. اختلفوا في حقيقة الكناية على أقوال:

١ - أنها من باب الحقيقة.

٢ - أنها مجاز، فإنه عندما نكني عن الكرم بكثرة الرماذ، تكون كثرة الرماذ مستعملة في الكرم ابتداءً، و تفرق عن المجاز في جواز إرادة المعنى الحقيقي فيها.

٣ - أنها لا حقيقة و لا مجاز، لأن المراد منها غير ما وضع له، فليست بحقيقة، و لأنه يصح إرادة المعنى الحقيقي، فليست بمجاز.

١. أن المجاز مستعمل في اللازم ابتداءً، و الكناية مستعملة في الملزوم، ليراد منه اللازم.
٢. لا يصح إرادة الملزوم في المجاز، لمنافاته مع القرينة، و يصح إرادته في الكناية، لأنها و إن احتاجت إلى قرينة، للدلالة على إرادة اللازم، لكنها لا تمنع من إرادة الملزوم.

أركان الكناية

للكناية ثلاثة أركان:

- أ) المكنى به: وهو المعنى الحقيقي الذي استعمل فيه اللفظ، لينتقل منه إلى لازمه.
- ب) المكنى عنه: و هو لازم المكنى به.
- ج) القرينة المرشدة إلى إرادة المعنى الكنائي، و هي غالباً حالة.

تقسيمات الكناية

التقسيم الأول: تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام:

١. الكناية عن صفة: و ذلك بأن يكون المكنى عنه صفة لازمة للمكنى به، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُغْلِبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾^(١)، فتقلب الكفين كناية عن الندم و الحزن، لأن النادم و الحزين يفعلان ذلك عادة.
٢. الكناية عن موصوف: و ذلك بأن يكون المكنى عنه موصوفاً لازماً للمكنى به،

١ - أنها تارة تصف بالحقيقة و أخرى تصف بالمجاز، و ذلك لأنه إن استعمل اللفظ في معناه مراداً منه لازمة

فهي حقيقة، و إن عبر بالملزوم عن اللازم فمجاز.

و الحق - كما بنينا عليه التعريف - هو الأول، لأن الحقيقة و المجاز من صفات الاستعمال، دون الإرادة، و الكناية

و الصراحة من صفات الإرادة دون الاستعمال.

١. الكهف: ١٢.

كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(١)، فإنه سبحانه كنى عن النساء بانهن ينشأن في الترفه، والتزين، والتشاغل عن النظر في الأمور و دقيق المعاني.

٣. الكناية عن نسبة: وذلك بأن يكون المكنى عنه نسبة لازمة للمكنى به، والمراد بالنسبة إثبات صفة لموصوف أو نفيها عنه، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢)، حيث جعل نبي مثل مثله، كناية عن نفي مثله، لأنه لازم له، إذ لو كان له مثل لكان هو - أعني الله تعالى - مثل مثله، فلا يصح نفي مثل مثله، كما تقول: «ليس لأخ زيد أخ» مريداً أنه ليس لزيد أخ.

التقسيم الثاني: تقسيمها باعتبار الوسائط إلى ثلاثة أقسام:

١. التلويح؛ وهو لغة: أن تشير إلى غيرك من بعيد، واصطلاحاً: «كناية كثرت فيها الوسائط بين المكنى عنه والمكنى به»، كقول الشاعر:

وَمَا يَكُ فِي مَنْ عَشِبَ قَيْانِي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

فإن بين جبن الكلب، وهزال الفصيل، وبين الكرم أكثر من واسطة، حيث إن الذهن ينتقل من جبن الكلب عن الهرير، إلى دوام ردهه و تأديبه، ومنه إلى كثرة القادمين إلى دار سيده، ومنه إلى كرم السيد، إذ لا يزدحم الناس إلا على المنهل العذب، والتبع المعطاء.

تَرْدَجِمُ الْقَصَادُ فِي بَايِهِ وَ الْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرِّحَامِ

وكذا الحال في هزل الفصيل.

٢. الرمز؛ وهو لغة: أن تشير إلى قريب منك خفيةً، بنحو الشفة أو الحاجب^(٣)، و

١. الزخرف: ١٨.

٢. الشورى: ١١.

٣. قال تعالى: ﴿أَلَا تَكَلِّمُ النَّاسَ تَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾، وقال الشاعر:

رمزت إليّ مخافة من يعطها من غير أن تبدي هناك كلامها

اصطلاحاً: « كناية قليلة الوسائط خفية اللزوم ». كقوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(١)، حيث جعل الرفث - وهو في الأصل قول الفحش - كناية عن الجباع، و الذهن ينتقل منه إليه بتأمل، مع عدم كثرة الوسائط.

٣. الإيماء والإشارة؛ وهي كناية قليلة الوسائط، واضحة اللزوم، كقول البحري:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ بِرَجُلٍ لَه رَجُلٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ، ثُمَّ جَعَلَ الْفَاءَ الرَّجُلَ فِي آلِ طَلْحَةَ كَنَايَةً عَنِ اثْبَاتِهِ لَمْ، وَاللَّزُومُ هُنَا وَاضِحٌ، لِأَنَّ الْمَجْدَ صِفَةً لَا بَدَأَ لَهَا مِنْ مَوْصُوفٍ، فِإِذَا أُلْقِيَ رَجُلُهُ فِيهِمْ لَزِمَ قِيَامُهُ بِهِمْ.

التقسيم الثالث:^(٢) تقسيمها باعتبار القبول و عدمه إلى قسمين:

١. الكناية المحسنة؛ وهي ما يكتسب بها الكلام حسناً و بهاءً، كقول الشنفرى:

يَسِيْبُ مِثْجَاةٍ مِّنَ اللَّوْمِ بَيْتَهَا إِذَا مَا بُيُوتٌ بِالْمَلَأَمَةِ حَلَّتِ

حيث كنى عن نسبة العفة إلى المرأة بعبء اللائمة عن بيتها، وهي كناية حسنة، لكونها لم يصرح فيها بما هو قبيح.

٢. الكناية القبيحة؛ وهي ما تعد عيباً في الكلام لكونها أفحش و أقبح من

التصریح، كقول المتنبي كناية عن العفة و النزاهة:

إِنِّي عَلَى شَفَقِي بِمَا فِي جَمْرِهَا لِأَعْفُ عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا

يقول ابن الأثير تعقياً على هذا البيت: «هذا كناية عن النزاهة و العفة، إلا أن

الفجور أحسن منها».

١. البقرة: ١٨٧.

٢. وهو من مبتكرات ابن الأثير.

التعريض

هناك نوع من الكناية أطلق عليه علماء البلاغة اسم التعريض، وهو لغة: ذكر الشخص بسوء.^(١) و اصطلاحاً: «أن ينسب الفعل إلى شخص والمراد غيره». والداعي إلى ذلك أغراض:

منها: التهديد بطريقة غير مباشرة، التي هي أبلغ من التهديد الصريح، كما لو شتمك شخص، بعد أن كان قد شتمك من هو أقوى منه، فتقول له: «شتمني الأمير و ضربته». ومنها: إسباع التكلم المخاطبين - الذين هم أعداؤه، و من شأنهم أن لا يقبلوا نصحاً- الحق، بطريقة لا تثير غضبهم، و هي ترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل، التي هي أشد تأثيراً في قبول الحق، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لَّا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، إذ المراد: أتخذون من دونه آلهة، إن يردكم الرحمان بضر، لا تغن عنكم شفاعتهم شيئاً، و لا ينقذونكم، إنكم إذا لني ضلال مبين.

و لذلك قيل: ﴿آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾^(٣)، دون (ربي). فقد أعلم السامع الحق بصورة لا تقتضي مواجهته بالمخاطب المنكر، كأنه لم يعنه، و هذا في أعلى محاسن الأخلاق، و أقرب للقبول، و أدعى للتواضع، و قد أطلق السكاكي على هذا النوع من الخطاب: «المنصف»، و هي تسمية في محلها.

و بهذا يكمل الكلام فيما أردنا بيانه في الفن الثاني، و نسأله التوفيق لإتمام الفن الثالث، و الحمد لله على جزيل إفضاله، و الصلاة و السلام على نبينا محمد و آله.

١. و استعمل في معان أخرى، منها: ترك التصريح، و التعبير بما يدل على المراد من بعيد، و منه التعريض بالخطبة.

٢. يس: ٢٣ - ٢٤.

٣. يس: ٢٥.



اسئلة و تمرينات

١. بين أنواع الكنايات الآتية، و عيّن المكنى عنه:

(أ) «وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ»^(١).

(ب) «أَوْلَنكَ شَرًّا مَكَانًا»^(٢).

(ج) «وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ»^(٣).

(د) «قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ» * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ

هَذَا»^(٤).

(ز) قال الإمام علي عليه السلام: «و قريب القفر، بعيد السبر»^(٥).

(ح) «وَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا إِلَى مَوْطِنِ الْأَشْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِينِي»^(٦)

(ط) «أَوْ مَا زَأَيْتِ الْجَمْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَسْتَحْوَلِ»^(٧)

(ي) «مَا ضَرَّ جَارِي أَجَاوِزُهُ إِلَّا يَكُونُ لِتَيَابِهِ سِتْرٌ

أَعْمَى إِذَا مَا جَارِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارِي الْجِذْرُ»^(٨).

(ك) تقول العرب: غليظ الكبد، عريض القفا، يشار إليه بالبنان، نشوم

الضحى، ركب جناحي نعامة، عريض الوسادة، شدّ المنزر، نقي الثوب، رجب

الصدر، جبان الكلب، هزيل الفصيل، طويل النجاد، بعيدة مهوى القرطين.

١. الأعراف: ١٤٩.

٢. العائدة: ٦٠.

٣. السد: ٤.

٤. الأنبياء: ٦٢-٦٣.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٤.

٦. قائله أبونواس.

٧. قائله البحتري.

٨. قائلها الدرسي.



الفن الثالث

علم البديع



تمهيد في بيان أمور

١. تعريف علم البديع

البديع في الأصل: من البدع، وهو إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، أي: ابتدعها ولم يكونا من قبل شيئاً، والبدع: الأول في كل أمر. قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ﴾^(٢)، أي: لست بأول مرسل. و في الاصطلاح: «علم تعرف به الوجوه والمزايا، التي تكسب الكلام جمالاً، و المنطق حسناً، من ناحية اللفظ والمعنى، بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال، و وضوح دلالاته على المراد».

و يفهم من ذلك، أن علمي المعاني والبيان هما أساس البناء الهندسي للكلام، و أن البديع حاله مع الكلام، كحال الزخارف والنقوش، التي تضي على البناء رونقاً و جمالاً. فالمحسنات البديعية إنما تورث الكلام حسناً و قبولاً، بعد اتصافه بالبلاغة، بمطابقته لمقتضى الحال، و خلوصه عن التعقيد المعنوي.

١. البقرة: ١١٧.

٢. الاحقاف: ٩.

٢. موضوع علم البديع

موضوع هذا العلم هو المحسنات اللفظية و المعنوية، العارضة على الكلام، بعد مطابقتها لمقتضى الحال، و وضوح دلالاته على المراد.

٣. الغرض من تدوينه

الغرض من تدوين هذا العلم، و الغاية من دراسته، هي معرفة طرق تحسين الكلام؛ حتى يتناسب جمال اللفظ مع جمال المعنى، مما يجعل النفوس متأثرة به، و مدعنة له. فكم من فكرة رديئة، أدبت بألفاظ خلافة، سقرت ما فيها من رذالة، فالت إليها النفوس، و صدقت بها. و كم من فكرة عظيمة، عُبر عنها بألفاظ رديئة، أنست ما فيها من عظمة، فنفرت منها الطباع، و مجتها الأسباع. و من ثم كان الكلام الموزون أكثر تأثيراً في النفوس.

٤. أبواب علم البديع

تنقسم المحسنات البديعية إلى قسمين:

(أ) المحسنات المعنوية: و هي ما يكون المقصود الأصلي منها هو تحسين المعنى. و لذا نجد أن المحسن المعنوي لا يتبدل بتبدل الألفاظ، مادام نفس المعنى موجوداً.

(ب) المحسنات اللفظية: و هي ما يكون المقصود الأصلي منها هو تحسين اللفظ، و لذا نجد أن المحسن اللفظي يزول بتبدل اللفظ، و سيأتي ما يوضح ذلك في البابين الآتيين إن شاء الله تعالى.

الباب الأول

المحسّنات المعنوية



المحسنات المعنوية

و هي كثيرة، إليك أهمها:

١. الطباق: و هو الجمع بين الشيء و ضده^(١) في كلام واحد، كقوله تعالى: ﴿وَ تَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَ هُمْ رُكُودٌ﴾^(٢) و من الطباق ما هو خفي، كقوله تعالى: ﴿وَ يَأْتُوا مَنَا بِنِ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونِنِي إِلَى النَّارِ﴾^(٣).

٢. المقابلة: أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَ اتَّقَى * وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَى * وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾^(٤).

و قول علي عليه السلام: «ينحدر عني السيل، و لا يرقى إليّ الطير»^(٥). و الظاهر أن هذه

١. هو بالمعنى اللغوي الشامل للسلب و الإيجاب.

٢. الكهف: ١٨.

٣. غافر: ٤٦.

٤. الليل: ٥ - ١٠.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

البديعة فرع عن الطباق، وليست شيئاً مستقلاً عنه.

٣. التورية: وتسمى إيهاماً، وهي أن يتكلم المتكلم بكلام له معنيان: قريب و

بعيد، ويريد المعنى البعيد، ويوهم السامع أنه أراد القريب، وهي على ضربين:

أ) التورية المجردة: وهي التورية التي لا تجامع شيئاً مما يلاءم المعنى القريب المورى

به - كقوله تعالى: ﴿وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾^(١) فكلمة (مخلدون) لها معنيان:

قريب وهو البقاء والاستمرار، وبعيد وهو أنهم مقرطون، تجعل في آذانهم القِرْطَةَ، و

الحلق الذي في الأذن يسمى قُرطاً و خَلْدَةً، ولم يقترن الكلام بما يلاءم المورى به.

ب) التورية المرشحة: وهي التي تجامع شيئاً مما يلاءم المعنى القريب، كقول الشاعر:

حَمَلْنَاهُمْ طُرّاً عَلَى الدُّهْمِ بَعْدَمَا خَلَقْنَا عَلَيْهِم بِالطَّعَانِ مَلَأِيسَا

فإنَّ للدهم معنى قريب غير مراد، وهو الخيول السود، ومعنى بعيد مراد، وهو

القيود الحديدية، ولفظة (حملناهم) ترشيح تورية، لملاءمته للمعنى القريب.

وهكذا نرى المورّي يستر المعنى البعيد بالمعنى القريب، وقد برع في هذا النوع من

البديع، شعراء مصر والشام في القرن السابع والثامن للهجرة، وأوتوا فيه بالعجيب

الرائع، الذي يدلّ على صفاء الطبع، والقدرة على اللعب بأساليب الكلام.

٤. الإستخدام: وله طريقتان:

الأولى: أن يذكر لفظ له معنيان، ثم يعقبه ضمير، يراد باللفظ أحدهما، وضميره

الآخر^(٢)، كقول جرير:^(٣)

١. الإنسان: ١٩.

٢. مثل له بعضهم بقوله تعالى: ﴿أَمِنَ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصْحَقْ﴾ وهو خطأ منشؤه قلة التدبر، حيث توهم أنْ شهد

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابًا

حيث أراد بالسما الغيث، وبضميره في - رعيناها - النبات، وكلا المعنيين مجازي.

الثانية: أن يذكر لفظ له معنيان، ثم يعقبه ضميران، يعود أحدهما عليه بمعنى، و الآخر بآخر. كقول بعضهم: «أقرّ الله عين الأمير، وكفاه شرها، وأجرى له عذبا، و أكثر لديه تبرها».

٥. الإحصاء: وهو أن يذكر قبل انتهاء الفاصلة من الفقرة، أو القافية من البيت، ما يدلّ عليها إذا عرف الروي، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤). وقيل: إنه لما بلغت قراءة النبي ﷺ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهَا خَلْقًا آخَرَ﴾^(٥)، قال عبدالله بن أبي سرح: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٦)، فقال النبي ﷺ: هكذا أنزلت، فكان ذلك سبب رده.

٦. المشاكلة: وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته، كقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٧)، أي: أهلهم، فذكر الإهمال بلفظ النسيان؛ لوقوعه في صحبته. و من ذلك ما حكى عن أبي الرقع: «أن أصحاباً له، أرسلوا يدعونه إلى الصبح في يوم بارد، ويقولون له: ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً؟ وكان فقيراً ليس له كسوة تقيه

٤. بمعنى شاهد، و أن الشهر مفعول به، بينما هي بمعنى حضر، كقولك: (شهدت الجمعة)، والشهر منصوب على الظرفية؛ لأنّ المقيم و المسافر كلاهما يشاهدان الشهر. و يزيد ذلك ما رواه زرارة عن أبي جعفر ٧: أنه قال لما سئل عن هذه الآية: وما أينها لمن عقلها، قال من شهد شهر رمضان فليصمه، و من سافر فيه فليطعمه.

٣. و قيل إنه لمعاوية بن مالك.

٤. المنكيات: ٤٠.

٥. المؤمنون: ١٤.

٦. المؤمنون: ١٤.

٧. العشر: ١٩.

البرد، فكتب إليهم يقول:

أَصْحَابُنَا قَصَدُوا الصُّبُوحَ بِسُخْرَةٍ وَأَتَى رَسُولَهُمْ إِلَيَّ خَصِيصًا
قَالُوا اقْتَرَحْ شَيْئًا نُحِذُّكَ طَبِخَهُ قُلْتُ أَطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَ قَبِيصًا

أي: خيطوا لي، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ، لوقوعه في صحة طبخ الطعام.

٧. حسن التعليل: وهو أن ينكر المتكلم صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة،

و يأتي بعلة طريفة، تناسب الغرض الذي يقصد إليه، كقول ابن الرومي:

أَمَا دُكَّاءُ فَلَمْ تَصْفَرْ إِذْ جَنَّحْتَ إِلَّا لِفَرْقَةٍ ذَاكَ الْمُنْظَرِ الْحَسَنِ

فهو يرى أن الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغرب للسبب الكوني، ولكنها

اصفرت مخافة أن تفارق وجه المدوح.

٨. تأكيد المدح بما يشبه الذم: وله طريقتان:

الأولى: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح، كقول النابغة الذبياني:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(١)

الثانية: أن يثبت لشيء صفة مدح و يعقب بأداة استثناء، يليها صفة مدح أخرى،

كقول النابغة الجعدي:

فَقَدْ كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي عَلَى الْمَالِ بَاقِيَا

٩. تأكيد الذم بما يشبه المدح: وله طريقتان أيضاً:

الأولى: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم، كقول الشاعر:

خَلَا مِنَ الْقَضْلِ غَيْرَ أَنِّي أَرَأُ فِي الْمُسْتَقِ لَا يُجَارَى

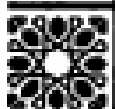
١. فلول: جمع فل، وهو الكسر في حد السيف.

الثانية: أن يثبت لشيء صفة ذم، و يعقّب بأداة إستثناء، يليها صفة ذم أخرى،
كقولك: «فلان فاسق إلا أنه جاهل».

الى غير ذلك من المحسنات المعنوية، التي يمكن إرجاع أكثرها إلى ما ذكر، و من شاء
الاطلاع أكثر، فليراجع الكتب المبسوطة في هذا الفن.

الباب الثاني

المحسنات اللفظية



المحسنات اللفظية

وأهمها:

١. الجناس: وهو اتفاق الكلمتين في اللفظ، واختلافهما في المعنى. وهو على ضربين:

الأول: الجناس التام. وهو ما اتفقت فيه الكلمتان في عدد الحروف، ونوعها، وهيتها، و

ترتيبها. كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(١).

الثاني: الجناس غير التام، وهو على أقسام:

أ) الجناس الناقص: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان في عدد الحروف فقط. كقوله

تعالى: ﴿وَأَلْتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۖ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾^(٢).

١. الروم: ٥.

ذكر ابن أبي الحديد في كتابه (الفلک الدائر على المثل السائر): «إن الساعة في الموضوعين بمعنى واحد، و التجنيس أن يتفق اللفظ و يختلف المعنى؛ و لا يكون أحدها حقيقة و الآخر مجازاً؛ بل يكونان حقيقتين، و زمان القيامة و إن طال، لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة، فيكون إطلاق لفظ (الساعة) على أحد الموضوعين حقيقة، و على الآخر مجازاً، و ذلك يخرج الكلام عن حد التجنيس، كما لو قلت: (ركبت حماراً، و لقيت حماراً)، و أردت بالتاني البليد».

أقول: لا يبعد أن يكون لفظ (الساعة) قد أصبح علماً ليوم القيامة، فتكون الساعة في الموضوعين حقيقة، فلا يتم ما ذكره، مضافاً إلى إمكان المناقشة في شرط التجنيس الذي ذكره، فتأمل.

٢. القيامة: ٢٩ - ٣٠.

ب) الجناس المحرّف: و هو ما اختلفت فيه الكلمتان في هيآت الحروف فقط، كقولهم: «جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبُرْدِ».

ج) الجناس المختلف: و هو ما اختلفت فيه الكلمتان في نوع الحروف، و يشترط ألا يقع الاختلاف في أكثر من حرف، كقوله عنه: «الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

د) الجناس المقلوب: و هو ما اختلفت فيه الكلمتان في ترتيب الحروف، كقول عبدالله بن رواحة:

تَحْمِيلُهُ النَّاقَةَ الْأَذْمَاءُ مُغْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِيُّ نُورُهُ الظُّلْمَا

٢. السجع: و هو تواطئ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، فالسجعة في النثر كالتفافية في الشعر، كقوله تعالى: «مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ مِنَّ اللَّهِ وَقَارًا * وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا»^(١). و كقول الإمام علي عليه السلام: «معرفة والله جرّت ندماً، و أعقبت سدماً»^(٢).

هذا، و الأسجاع مبنية على سكون الأعجاز و هو أواخر الفواصل، و إالاقات السجع في قوله تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ أُنْحِمْز * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ»^(٣).

٣. الإقتباس: و هو تضمين الكلام شيئاً من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، من غير دلالة على أنه منها، كقول الكاتب:

إِن كُنْتُ أَزْمَعْتُ عَلَى هَجْرِنَا مِنْ غَيْرِ مَا جُزِمَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَ إِن تَسَبَّدْتُ بِسَا غَيْرِنَا فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ

١. توح: ١٣ - ١٤.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٣. الكوثر: ١ - ٣.

هذا و لا بأس بتغيير سير في اللفظ المتبس، للوزن أو غيره، كقول بعضهم:
 قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَا

و نكتفي بهذا القدر من المحسنات اللفظية، و من أراد الإستزادة فعليه بالرجوع إلى الكتب المبسوطة في هذا الفن.

و مما ينبغي أن يعلم في المقام، أنّ المحسنات اللفظية إنما تكون مستحسنة إذا كانت الألفاظ تابعة للمعاني، و لا تكون المعاني توابع الألفاظ، بأن يؤتى بالألفاظ مستكلفة مصنوعة فيتبعها المعنى كيفما اتفق. كما فعله بعض من لهم شغف بإيراد المحسنات اللفظية، فيجعلون الكلام غير مسوق لإفادة المعنى، بل نظرهم إلى اللفظ بالأصل، و إلى المعنى بالتبع، فلا يباليون بخفاء الدلالات، و ركاكة المعنى، فيصير الكلام كنفد من ذهب على سيف من خشب؛ ظاهره جميل، و باطنه قبيح. و الوجه أن تترك المعاني على سجيتها، فتطلب لأنفسها ألفاظاً تليق بها، و عندها تظهر البلاغة و البراعة، و يتميز الكامل من القاصر، و حين رُتّب الحريري - مع كمال فضله - في ديوان الإنشاء، عجز فقال ابن الخشاب: «هو رجل مقاماتي؛ و ذلك لأن كتابه حكاية تجري على حسب إرادته، و معانيه تتبع ما اختاره من الألفاظ المصنوعة». و ما أحسن ما قيل في الترجيح بين الصاحب و الصابي: «إن الصاحب كان يكتب كما يريد، و الصابي كان يكتب كما يؤمر». و بين الحاليتين بون بعيد؛ و لهذا قال قاضي قم حين كتب إليه الصاحب: (أيها القاضي بقم، قد عزلناك فقم): «و الله ما عزلتني إلا هذه السجعة».

و بهذا يتم ما أردنا بيانه، و كمل بعين النقص تبيانه، فنسأله تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع، خالصاً لوجهه الكريم، و صلى الله على محمد و آله الأكرمين، و الحمد لله رب العالمين.



اسئلة و تمرينات

١. اقرأ الأمثلة التالية، و بين ما فيها من محسنات بدعية:

أ) ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَتَكُوا كَثِيراً﴾^(١).

ب) ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾^(٢).

ج) ﴿وَجِوَاءُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾^(٣).

د) ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(٤).

هـ) ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلاماً﴾^(٥).

و) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٦).

ز) ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾^(٧).

ح) ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاءُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾^(٨).

ط) ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٩).

ي) قال الإمام علي عليه السلام في وصف الدنيا: «فالبصير منها شاخص، و الأعمى

١. التوبة: ٨٢.

٢. غافر: ٧٥.

٣. الغاشية: ٨.

٤. ق: ٣٩.

٥. مريم: ٦٢.

٦. الأنعام: ١٠٣.

٧. الواقعة: ٣.

٨. يوسف: ٤٢.

٩. المائدة: ٥٤.

إليها شاخص، و البصير منها مُتَزَوِّدٌ، و الأعمى لها مُتَزَوِّدٌ»^(١).

ك) و قال عليه السلام أيضاً: «و فرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه وروود الأنعام، و يولّهون إليه وله الحمام»^(٢).

ل) و قال عليه السلام أيضاً: «ألا و إنه مَنْ لا ينفعه الحق يضره الباطل، و مَنْ لا يستقيم به الهدى، يجر به الضلال الى الردى»^(٣).

م) جهولٌ بِالمَناسِكِ لَيْسَ يَدْرِي

ن) أَلَا لَا يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا

ص) إِذَا لَمْ تُفِضْ عَيْنِي الْعَقِيقَ فَلَا رَأَتْ

ع) رَبُّ بَخِيلٍ لَوْ رَأَى سَائِلًا

لا تَطْمَئِنُوا فِي النَّزْرِ مِنْ نَسِيلِهِ

ف) وَ مَا كُفِّفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةٌ

ص) لَأَعْيَبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ تُزِيلَ بِهِمْ

ق) قال الحريري: ارتفاع الأخطار، باقتحام الأخطار^(٦).

٢. هات لكل واحد من المحسنات البديعية المذكورة في الكتاب بمثال من عندك.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

٢. المصدر السابق، الخطبة الأولى.

٣. المصدر السابق، الخطبة ٢٨.

٤. قائله العمري، و معناه: أن كلفة البدر و هي ما يظهر على وجهه من كدره، ليست ناشئة عن سبب طبيعي، و

إنما هي حادثة من اللطم على فراق المرثي.

٥. قائله صفي الدين الحلبي.

٦. يعني: أن ارتفاع قدر الإنسان، إنما يكون باقتحام المخاوف والمهالك.